سلسلة القوى الخفية

أسرار كائنات الظلام

وأصل أساطير الرعب

د/ ياسر منجى

هلا للنشر والتوزيع

سلسلة القوى الخفية

(٤)

أسرار كائنات الظلام

وأصل أساطير الرعب

د. ياسر منجى

الناشر
هلا للنشر والتوزيع

بطاقة فهرسة

منجى ، ياسر

اسرار كائنات الظلام وأصل أساطير الرعب / ياسر منجى. - ط ١. - الجيزة: هلا للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧ .

١٢٤ ص ؛ ٢٠ سم .

تدمك ٢٥٧٣ ٣٥٦ ٩٧٧

١- الأشباح

أ- العنوان ١٣٣,١

اسم الكتاب : أسرار كائنات الظلام وأصل أساطير الرعب

تأليف : د. ياسر منجى

الناشر : هلا للنشر والتوزيع

6 شارع الدكتور حجازى الصحفيين - الجيزة

تليفون : 3041421 فاكس : 3449139

البريد الإلكتروني : www.halapublishing.net

hala@halapublishing.net

رقم الإيداع : 2007/10607

الترقيم الدولي : 3 - 257 - 356 - 977

تصميم الغلاف : هاني الأشقر

الإخراج الفني : إبراهيم أحمد خليل

طباعة هلا للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

1429 هـ 2008 م

هذه السلسلة

ما معنى طبائع العناصر ؟ هل هناك قوى للحروف و الأشكال و الأرقام ؟ ماذا تعرف عن أسرار الحضارات القديمة ؟ ما هي قوى اللون و الصوت و الضوء ؟ كيف تستفيد من أسرار الأهرام ؟ ما هو العلاج بالألوان و كيف تزاوله عمليا ؟ كيف استفاد القدماء من أسرار الأعشاب و النباتات ؟ ما هو سر تمتع البعض بالجاذبية الخارقة ؟ ما معنى الحدس ، و ما هي أسراره ؟ ماذا تعرف عن عالم الرموز و أسراره و قواه ؟ هل هناك عن الأبراج غير ما يعرفه عامة الناس ؟ ما هي طاقات الأحجار و المعادن ؟ ما هي الهندسة المقدسة ، و كيف تستفيد من قوى الفراغ المحيط بك ؟ ماذا عرف القدماء عن قوى الإرادة ، و كيف سخروها ؟ ما هي الغرائز ، و ما السبيل إلى السيطرة عليها ؟ ما العقل و ما الروح ؟ ما هي علاقة العقل بالجسد ، و ما علاقة الروح بالعقل ؟ ما معنى " المكتوب على الجبين " ؟ ما هي أسرار خوارق المتصوفة ؟ ماذا تعرف عن قنوات الاتصال بين أجزاء الكون ؟ هل يمكنك أن تستعمل الإيحاء الذاتي و تستفيد من التنويم المغناطيسي ؟

الإجابة على هذه الأسئلة هي بعض طموح هذه السلسلة .

المؤلف

هذا الكتاب

أسرار كائنات الظلام

و أصل أساطير الرعب

ما هو السبب في أن حكايات بعينها تسبب الرعب أكثر مما تفعله باقي الحكايات ؟

و ما هو السر في استمرار بعض هذه الحكايات لتظل متوارثة عبر مئات وآلاف السنين ؟ ولماذا ينتشر بعضها عالميا ليصبح مؤثرا على جميع الناس دون أن يتأثر باختلافاتهم الثقافية والمادية؟

ما هي العفاريت ؟ وما هو أصل عرائس البحر ؟

من هو " دراكولا " الحقيقي ؟ وما سر حياته ؟

ما هو أصل الاعتقاد في الرجل الذئب ؟

لماذا تمتلك بعض البيوت والأماكن القدرة على إثارة الفزع في النفوس أكثر من غيرها ؟ وهل يعود ذلك حقا إلى كونها مسكونة ؟ وما معنى (مسكونة) ؟ وما هي أشهر هذه الأماكن والبيوت ؟

من هي النداهة ؟ وما هي الغيلان ؟ وما هو سر المسوخ المشوهة التي تجوس ليلا بالخرائب ؟

ما هو .... عفوا ... فالكتاب القادم ينوي الغوص في مستنقعات قديمة من رعب المجهول .

المؤلف

كلمة لابد منها

هذه السلسلة هى خلاصة للغوص فى بحار عدد من العلوم والفلسفات الشرقية والغربية المعقدة ، بعضها يضرب فى القدم إلى أبعد عهود الحضارة وبعضها يدين بالفضل إلى أحدث اكتشافات معاهد العلوم الماورائية الحديثة Paranormal Sciences .

وكنت قد عكفت طوال تسع سنوات ، هى الفترة من عام ١٩٩٦ وحتى الآن على جمع ودراسة كل ما يتعلق بالتراث الغيبى فى العالم ، وقد وفقنى الله للعثور على مصادر موثوق بها ، تنوعت ما بين كتب ومخطوطات محققة وغير محققة ، على الرغم من تشتتها وتبعثرها بين دور الكتب والمتاحف والمكتبات العالمية ، كما تيسر لى الاتصال بعدد من العلماء والباحثين وكبار الكتاب المتخصصين فى هذا المجال ، لم يدخروا وسعا فى سبيل إمدادى بالمعلومات ومصادر البحث فى هذا الحقل العلمى الوعر والمثير فى آن .

كما كان للتجربة العملية أكبر الأثر فى تحويل الجانب النظرى إلى مبتغاه الأساسى – فالمحك الحقيقى لأى نظرية هو الجانب التطبيقى منها – حيث مارست بنفسى عددا من الرياضات النفسية والذهنية والبدنية ذات الطابع الماورائى والتى ساهمت فى شحذ طاقاتى الخاصة ، بل والتى كان لها أعظم الفضل فى

شفائى من بعض الأمراض التى عانيت منها زمنا طويلا – كما سيرد فى تجربتى الشخصية فى هذا الكتاب – ومن هذه الرياضات : " هاتا يوجا " Hatha Yuga، " راجا يوجا " Raja Yuga ، " كونداليني يوجا " Kundalini Yuga و" الأوتوترينينج " Auto Training أى (تدريبات الشحن النفسى الذاتى المولد للطاقة) .

وحينما راجعت مؤخرا كم المصادر العلمية التى تمكنت بفضل الله من اقتنائها آثرت أن أبثها فى المكتبة العربية لعدة أسباب ، من أهمها :

١– إفادة أكبر عدد ممكن من القراء عن طريق نشر هذا اللون من المعرفة ذات الفائدة الجبارة والتى أثبتت الأبحاث العلمية فعاليتها التى لا تنكر ، (أنظر على سبيل المثال لا الحصر مدى النجاح الهائل الذى أصبح يحققه واحد من أشهر أساليب الطب البديل حاليا ، ألا وهو العلاج بالإبر الصينية ، والذى يعتبر واحدا من عشرات العلوم الماورائية والتى سنستعرضها تباعا) .

٢– اللحاق بركب المكتبة الدولية فى هذا المجال الذى أصبحت تؤلف فيه ملايين الكتب والنشرات والدوريات ، وتؤسس من أجله الجامعات والمعاهد والمعامل ومراكز التدريب والعلاج على مستوى العالم ، هذا فى الوقت الذى ما زلنا فيه للأسف الشديد خارج نطاق الركب العالمى ، وتكاد المكتبة العربية تخلو من الدراسات الجادة الرصينة فى هذا المجال ، فيما

عدا المؤلفات المعتادة والتى لا يتعدى معظمها فى نظرى مجال الإثارة وقصص الخوارق وأدب الخيال العلمى !!!

٣- العودة بهذه العلوم والفلسفات إلى ما يليق بها من رصانة الكتابة العلمية ، محاولة لتخليص مفهوم " العلوم الغيبية " و"العلوم الماورائية " من اشتباكات ومغالطات الجهل التى خلطت بينها وبين ألاعيب الدجالين وحيل السحرة ، وهو الأمر الذى أدى للأسف - إلى جانب أسباب اجتماعية واقتصادية أخرى تخرج عن نطاق هذا الكتاب - إلى استشراء خطورة هذا القطاع الجاهل من المشعوذين الذين يتاجرون بجراح الناس ويبتزون أوجاعهم وأحلامهم ، بل وينجحون أحيانا فى اختراق عقول المثقفين !!!

وقد آليت على نفسى أن أشرع بعون الله فى كتابة سلسلة من الدراسات التى تغطى المجالات المختلفة لعوالم القوى الماورائية تحت مسمى " سلسلة القوى الخفية " ، بحيث تصدر تباعا فى هيئة كتب مسلسلة لكل منها عنوانه وموضوعه الخاص الذى يسبر جانبا من موضوعات هذا العالم الخفى .

ومن جميل توفيق الله سبحانه تيسير الأسباب لترى هذه السلسلة النور على يدى السيدة الفاضلة " هالة عمر " رئيس مجلس إدارة مؤسسة " هلا للنشر والتوزيع " ، وهى السيدة التى لمست فيها مضاء عزيمة وحبا للمغامرة قل أن يتوافرا فى الكثير من الرجال ، فلها منى الشكر على حماستها التى وطدت إصدار هذه السلسلة .

ولما كنت أتمنى لهذه السلسلة أن ترى ذيوعا وانتشارا بين كافة طبقات القراء والمثقفين ، فقد قمت بتخليص نظريات هذه العلوم من التعقيدات الفلسفية - وبعضها موغل فى الصعوبة - كما حصرت كلا منها فى موضوعه ميسرا ومقدما خلاصتها للقارئ دون تهافت فى التبسيط ، ليتمكن الجميع من الاستفادة منها على تنوع مستوياتهم التعليمية والثقافية .

وفى هذا الصدد لا يسعنى إلا أن أتوجه بمزيد العرفان إلى عدد من العلماء والأصدقاء والفضلاء الذين لولاهم لما رأت هذه السلسلة النور ، وهم :

١- السيد " ألبرت إجناتنكا " Albert Ignatenka العالم الروسى الأشهر فى مجال الباراسيكولوجى Parapsychology ومدير معهد " الإيزوتيريك " Esoteric بأوكرانيا ، على إسهاماته الثمينة فى مجال " الأوتوترييننج " .

٢- السيد " يورى جيللر " Uri Geller صاحب الظواهر الخارقة والشهير عالميا فى مجالات " السيكوكينزيس " Psychokensis ، على شروحه المسهبة لتقنيات الظواهر النفسية المؤثرة على المادة .

٣- الدكتور " دونالد هيل " Donald R.Hill أستاذ تاريخ العلوم العربية وزميل جامعة " أدنبرة " Edinburgh ، على بحوثه القيمة فى مجال تأصيل الظواهر علميا لدى العرب .

٤ـ السيد " ويكفيلد " C.Wakefield الأمين المساعد بمكتبة " بودليان " ، على تذليله لصعوبات الاطلاع على النسخ الرقمية المتاحة لمقتنيات المكتبة .

٥ـ السيد " فرانسيس ماديسون " Francis Maddison أمين متحف تاريخ العلوم بجامعة " أوكسفورد " ، على مجموعاته الثمينة من المخطوطات والأصول .

٦ـ السيد " سوامى نيرانجاناناندا ساراسواتى " Swami Niranjananada Saraswati أستاذ اليوجا ومدير مؤسسة " بيهار يوجا بهاراتى " Bihar Yuga Bharati، على إرشاداته الروحية والتقنية فى رياضتى " الهاتا يوجا " و" الراجا يوجا " .

و الله المستعان وعليه قصد السبيل

د / ياسر منجى

خوارق ؟!!

الكتابة في مجال الخوارق والعلوم الغيبية مغامرة محفوفة بالمتاعب – لاسيما في مجتمعاتنا الشرقية – لعدة أسباب جعلت من رواد هذا المجال – القديم والحديث في نفس الوقت – هدفا مستمرا للسخرية والشكوك والهجوم ، وفي أحسن الأحوال الشفقة المشوبة بالتندر والتفكه .

ومن أهم هذه الأسباب المتعددة :

١– أن مجال العلوم الغيبية – كما يتضح من اسمه – يختص بهذه الفئة من العلوم والطاقات التي تنتمي إلى مجالات وحقول وترددات فائقة من الطاقة ، يتعدى مداها قدرة الحواس البشرية على الإدراك ، ومن ثم في تمر بها مرور الكرام دون أن تعيرها التفاتا ، إلا في الحالات التي تكون هناك ضرورة ملحة لإحداث اتصال بين الوعي البشري وبين الأنواع المتعددة لهذه القوى والطاقات .

ولما كان الإنسان عادة قد تعلم منذ طفولته ألا يثق إلا بما تمليه عليه حواسه بما تلمسه وتشمه وتراه وتسمعه وتتذوقه من آثار العالم المادي ، فقد إنسان العصر الحديث عشرات من الحواس التي كان يتمتع بها أسلافه البشريين من أبناء الحضارات السابقة الذين أصبحت تفصلنا عنهم عشرات الآلاف من

السنين، والذين تفهموا جيدا طبيعة هذه القوى – كما سوف نرى – بل وطوعوها لبناء حضاراتهم التي مازالت أسرارها المذهلة عصية على الشرح والتفسير .

٢– اعتماد مناهج العلوم التجريبية على المشاهدة وتسجيل النتائج التي تتحقق ماديا ومعمليا ، مما صبغ عصرنا الحديث بأكمله بهذه الصبغة المادية ، وذلك نظرا لتغلغل العلم التجريبي وتطبيقاته " التكنولوجيا " في حياتنا المعاصرة بشكل كاسح ، فأصبح اعتماد الناس حاليا في غالب نشاطات حياتهم على الأجهزة والآلات التي ساهمت في إخماد عدد كبير من الملكات والمهارات التي كان يتطلبها الاعتماد على قدرات الإنسان ، مما جعل بعض الدراسات النفسية تتنبأ بفقدان الإنسان لمعظم ملكاته في عصر قريب بتأثير التقدم المريع للتكنولوجيا . ومما دعم الأمر أن العلم الحديث بمناهجه السابقة الذكر – والتي لا ينكر أحد فضلها رغم ذلك في تيسير سبل الحياة – قد أثر في طريقة تفكير الإنسان المعاصر ذاتها ، فنتج عن ذلك عدد من المفاهيم والجمل الشائعة التي تشيع في قطاع المثقفين ثم لا تلبث بقية قطاعات المجتمع أن تتلقفها منهم لترددها ترديد الببغاوات مثل : " أنا إنسان متعلم ، لا وجود للغيبيات " ، أو " أنا مثقف ، التفكير الغيبي تفكير متخلف " ، فماذا يقول هؤلاء إذن إذا عرفوا – كما سوف تقرأ – أن كبريات معامل ومعاهد البحث العلمي الغربية قد فتحت مجالا لدراسة واكتشاف هذا

المجال (المتخلف !!!) واعترفت به واعتبرت أن طاقاته هي بمثابة طاقات لم تكتشف قوانينها بعد ؟!!

٣- سيطرة الجهل والتخلف لحقبة طويلة على مجتمعاتنا الشرقية لعدة أسباب من أهمها الاستعمار الذي رزح الشرق تحت نيره فترات طويلة من قبل مستعمرين وغزاة و(فاتحين) شتى ، ما بين صراعات لأمراء المماليك في مصر والشام واكتساح عثماني واحتلال أوربي ...الخ ، مما ساهم في تكريس طباع التواكل والقدرية واللجوء للغيبيات في أسوأ صورها ممثلة في الاستعانة بالجن والعفاريت والتبرك بأضرحة الموتى واللجوء للسحرة واعتبار البلهاء والمعاقين ذهنيا من أولياء الله الصالحين. كل هذا التراث الأسود طغى للأسف على مفهوم عوالم القوى الغيبية وطبعها بطابعه في أذهان القطاع الأكبر من أبناء الشرق ، مما جعل الباحث فيها مجبرا دائما على شروح مطولة يوضح فيها الفرق بين ما يبحث فيه من علوم رصينة وبين ألاعيب الحواة والدجالين .

و يثور الآن سؤال هام لابد منه وهو : هل البحث في العلوم الماورائية مما يتعارض مع مفهوم الغيب كما يعنيه الدين ؟

الإجابة المباشرة على هذا السؤال تتضح من الحديث الشريف الذي ورد بصحيح البخاري والذي نصه :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مفاتح الغيب خمس:

إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما في الأرحام ، وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير » (١) .

هذه الأصول الخمسة للغيبيات التي لا يجوز أن يدعي أحد المقدرة على الإحاطة بها أو التنبؤ بما سوف يكون من شأنها ، وهي كما نرى لا تدخل من قريب أو بعيد في نطاق ما تنوي هذه السلسلة أن تبحثه ، فنحن لا ننوي – معاذ الله – أن نصدر مصنفات تسفه من قيمة العقل أو تتعارض مع أصل من أصول العقيدة ، إنما الهدف الأساسي كما سبق وأشرت هو الأخذ بطرف من أسرار علوم وفلسفات اكتشفت في أسرار الكون قوانين أودعها الله فيه . هذه القوانين انتبه إليها عباقرة من الأسلاف الذين ساهموا في بعث وازدهار الحضارة عبر العصور ، بعضها اندثر بفعل الانهيار الدوري المعتاد للحضارات وترك البعض الآخر بصيصا من الإشارات والرموز التي كانت بمثابة علامات دالة ساهمت في بعث هذه العلوم وإعادة كشفها من جديد ، وهو الأمر الذي يسير فيه الغرب الآن بخطى حثيثة .

و ربما يلتبس الأمر على البعض نتيجة لاستخدام لفظ " العلوم الغيبية " للإشارة لهذه العلوم ، مما ينتج سوء الفهم والخلط بينها وبين مفهوم " الغيب الديني " في ذهن القارئ ، ولتوضيح ذلك

---

(١) صحيح البخاري ، دار الكتاب اللبناني ، الجزء الرابع ، ص ١٧ وأيضا ص ٩٩ .

أقول أن ذلك من قبيل الدلالة الاصطلاحية ، بمعنى أن كلمة " غيبية " هي عبارة عن مصطلح يطلقه البعض على هذه العلوم نظرا لطبيعتها " الخفية " أو " الكامنة " ، ونظرا لأن قوانينها ومعادلاتها لم تكتشف كاملة بعد ، فهي ما زالت في رحم الغيب .

والمشتغلون بالبحوث الأكاديمية يعلمون معنى المصطلح تماما ، فالكلمة الواحدة قد يكون لها معنى ما في القاموس ثم تستخدم استخداما دارجا مغاير في المعنى من قبل رجل الشارع، ثم قد تستخدم استخداما ثالثا مختلف تماما كمصطلح دال في علم من العلوم ، وهذا هو ما ينطبق تماما على لفظة " غيبية " والتي تستخدم كمصطلح من قبل علماء الدين يدل على ما سبقت الإشارة إليه من علم يختص الله سبحانه وتعالى بمعرفته ويقصره على ذاته الإلهية ولا يشرك فيه أحدا من عباده .

وللابتعاد عن هذا الخلط تماما فسوف أستخدم اصطلاح " العلوم الماورائية " للدلالة على ما أعنيه من هذه العلوم ذات المجلات الخفية من الطاقة ، كما أفضل استخدام مصطلح " القوى الخفية " رغم ما يحويه من ظلال مثيرة للخيال .

ثم إن القصص القرآني لا ينفي أبدا إمكانية أن يتمتع بعض البشر بميزات وقدرات تمكنهم من اختراق عوالم القوى الخفية واجتياز مسالكها الوعرة ، بل إن بعض الآيات تنص على ذلك

صراحة ، فيقول سبحانه وتعالى : ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ ﴾

[**الكهف** ٦٥ :٧٠]

فالآيات الكريمة السابقة تحدثنا عن لقاء سيدنا "موسى" عليه السلام بأحد الناس الذين وصفهم الله تعالى بوصف [عبدا من عبادنا] ، فلم تنص الآيات صراحة على أنه رسول أو نبي ، بل هو إنسان كغيره ، غاية الأمر أن الله تعالى آتاه [رحمة] و [علمه من لدنه علما]، هذه الرحمة وهذا العلم جعلاه يستحق وبجدارة أن يقوم بدور الأستاذ لواحد من أكبر الأنبياء والرسل وهو "موسى" عليه السلام ، بل ويستأذنه "موسى" في الصحبة فيشترط عليه ذلك العالم شروطا حتى يصحبه ، ثم يكون من أمرهما ما تنص عليه باقي الآيات من أحداث يتمكن فيها هذا العبد العالم أن يهتك أسرارا ماورائية ، يتصرف بموجبها تصرفات قد تبدو للوهلة الأولى أنها غير عقلانية ، وذلك طبقا لحكم الحواس العادية و(التفكير المنطقي) ، ثم نكتشف في ختام الآيات أنها

هي عين العقل وعين المنطق طبقا للقدرات التي أتيحت لهذا العبد العالم والتي تصرف بناء عليها .

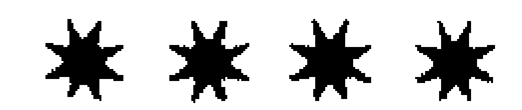
والكتب المقدسة على اختلافها تحتشد بمئات من الآيات والنصوص التي تصرح بأن الكون غير مقصور على هذا النطاق الضئيل الذي تتعامل معه حواس البشر بشكل اعتيادي ، بل إنها تدل صراحة في أكثر من موضع على أن هناك عوالم متعددة ذات قوانين وطاقات وظواهر وأحداث تتجاوز قدرة التصور البشري .

والآيات سالفة الذكر كثيرة لدرجة أن حصرها يخرج بنا عن نطاق هذا الكتاب وموضوعه ، ولكن نتوقف هنا عند إحدى آيات سورة الذاريات والتي تصرح :

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩) ﴾

[**الذاريات** ٤٩]

وهو الأمر الذي يسري على كل شيء في الكون بما فيها المادة ذاتها ، فالكون المادي يتضمن الطاقة بشتى صورها المعلومة والتي ما زالت في طي المجهول بنفس الشكل الذي يتضمن به المادة بصورها وعناصرها المختلفة ، فالعالم إذن عالمان أو زوجان : عالم المادة وعالم الطاقة .



لماذا هذا الكتاب ؟

ربما يقفز سؤال منطقي في ذهن القارئ المتابع للسلسلة ؛ هو السؤال المتعلق بسبب تأليف كتاب يعالج هذا الموضوع ، خاصة وأننا كنا قد بدأنا في الاستهلال بدراسة موضوع حقول الطاقة الحيوية التي يمتلكها الإنسان – لدرجة أننا خصصنا لها كتابا من جزأين شرحنا فيه ماهية هذه الطاقة وشرحناها من وجهة نظر كل من أصولها الشرقية في التراث الهندي والصيني والمصري القديم ، فضلا عن بيان الجهود التي تبذلها المعاهد العلمية الغربية حاليا في كشف النقاب عن أسرارها – وشرحنا كيفية اكتشاف القارئ لها والتدريب على استخدامها وتنميتها في مجالات تعود بالفائدة والنفع عليه وعلى المحيطين به . كما أننا تطرقنا في الكتاب الثاني إلى علم هام من العلوم القديمة التي ما زالت تلقى رواجا واهتماما من قبل الناس على اختلاف ثقافاتهم وخلفياتهم الاجتماعية ؛ ألا وهو علم الفراسة أو " الفيزيوجنومي " وشرحنا أصوله ومدارسه وأوردنا طرقا عملية للتدريب عليه واستخدامه في الحياة العملية .

كما أبحرت معك عزيزي القارئ من خلال الكتاب الثالث في بحار موضوع صعب شائك يتعلق بماهية شخصية الشيطان ، ذلك الشرير الأكبر والأخطر في تاريخ الكون وتناولنا معا ما سبق

وأن قررته الأديان السماوية - بل والوثنية - عنه وكيف تم تصويره في فنون الحضارات القديمة ، كما أوردنا موضوعا صعبا خضنا فيه إمكانية أن يكون الشيطان قد تجسد بشريا في صور مرئية وأوردت لك رأيي في هذا الصدد وأدلتي على هذا الاعتقاد من خلال شخصيات تاريخية بعينها قصصت عليك سيرتها الغامضة ، بل وأوردت لك صورها الزيتية والفوتوغرافية .

والحقيقة أنني حين أحاول معك الإجابة عن السؤال الذي بدأنا به الحديث - لماذا هذا الكتاب ؟ - فإنني أرى أنها إجابة على غاية من المنطقية والبساطة ؛ وذلك لعدة أسباب ، أهمها :

أولا : أن هدفنا الأساسي من وراء إصدار هذه السلسلة هو تغطية الجوانب التي تشمل عوالم القوى الخفية وجميع ما يتعلق بها من فروع ؛ سواء من حيث الظواهر الغريبة أو الطاقات مجهولة الخصائص أو العلوم القديمة التي بدأت تعود إلى مكانتها من خلال إعادة اكتشاف الغرب لها من جديد . ولا شك أن موضوع كتابنا الحالي (الرعب وكائنات الظلام) من الموضوعات ذات الصلة بعالم القوى الخفية وأيضا من الموضوعات الموغلة في القدم والتي شغلت مخيلة الإنسان وعقله إلى درجة عدم خلو أية ثقافة على ظهر الأرض من الحكايات والمعتقدات والتفسيرات المتعلقة بها ، بل إننا ما زلنا نسمع ونقرأ من حين لآخر - ونحن في ذروة العصر الذي يوصف بأنه عصر سيادة التكنولوجيا -

قصصا وأخبارا تأتي من (الغرب المتقدم) تصف محاولات لاتصال البشر بهذه الكائنات أو وقوعهم فرائس لمشاكل يعزونها إلى أثر هذه الكائنات في حياتهم .

ثانيا : أن هذا الموضوع تحديدا من الموضوعات التي تضاربت التفسيرات بشأنها ؛ فالبعض يرى أنه محض خرافات وبقايا من حكايات أسطورية تناقل الزمن أشلاءها على ألسنة العجائز ، ويرى البعض أنها حقائق لا شك فيها وأن من الجحود نكرانها ، بينما يرى فريق ثالث أنها ظواهر ناتجة عن أنواع من الطاقة التي لم يكشف العلم نقابها بعد مما سمح للخيال البشري أن يكسوها حلة من الخيال المرعب والغامض . وهذا في رأيي سبب وجيه لكي نساهم بدورنا في بحث طبيعة هذا الموضوع ؛ فنتتبع معا مصادره العلمية والأسطورية والدينية في الحضارات المختلفة ، علنا نحظى بشرف المساهمة في إلقاء بصيص من ضوء على طبيعته الحقيقية .

ثالثا : أن هذا الموضوع من شأنه أن يزيد في معارفنا من حيث ما يتعلق بالإنسان ؛ ذلك المخلوق المحير الغامض والذي يعتبر في حد ذاته ظاهرة تستحق الدراسة ؛ فالرعب هو ذلك الإحساس الأصيل في صلب نفسية الإنسان . وهو – كدرجة من درجات الخوف – غريزة أصيلة في نفوس البشر . وعندما نبحث معا في موضوع الرعب الفطري النابع عن اعتقاد الإنسان في وجود

كـائنات ظلامـيـة فـتـاكـة قـادرة على إلـحاق الأذى بـه فـإننا نكون بسببـيـلنا إلى إدراك جـانب هام من جـوانـب نفـوسنا الخـافـيـة عـلينا والتي كـثيرا مـا يحـول الغـرور بيننا وبين الاعـتـراف بضـعـفنا أمامه دون سبب معروف .

د . ياسر منجي

أصل الرعب

الرعب ؛ ذلك الشعور العارم الذي ينتاب الإنسان فإذا هو وقد تناثرت حواسه وذهبت كل مذهب . وإذا به وقد فقد كل ما كان قد سبق وأن حصله من معارف وخبرات من شأنها أن تمنحه ولو بصيص من أمان وطمأنينة . وإذا هو وقد قطع ما بينه وبين أسس المنطق العقلي الذي يتشدق به وهو آمن مطمئن ، فلا يعود هناك ما يمكن أن يمت للمنطق بسبب ؛ فينطلق حينها الخيال من عقاله ويجوس في كل فضاء ويمارس لعبته العتيدة في تصوير المستحيلات والمخاوف التي تنشط من آبار سحيقة كنا نحسبها قد ردمت ومحيت فإذا بها فوارة لم تنضب ومليئة كعهدنا بها منذ آلاف السنين حينما لم يكن الإنسان البدائي قد اخترع المنطق بعد .

ويستجيب الجسد لنداء الوجدان الممزق ؛ فإذا بالحلق وقد تبخرت رطوبته . وإذا بالعينين وقد فقدتا القدرة على التركيز والرؤية الواضحة . وإذا بالجلد وقد اقشعر وهزته تلك الرعدة الكهربية التي يزيدها سوءا برودة سابحة في بحار من العرق . وإذا بالفرد وقد فقد القدرة على توجيه الأوامر إلى أعضائه الحركية ؛ فالقدمان قد أصبحتا في ثقل الرصاص تجريان بأسلوب الحركة البطيئة واليدان متهافتتان ضعيفتان غير قادرتين على الدفاع ولا

على الهجوم . والقلب يمارس رقصته المجنونة التي لا تعترف بإيقاع محسوب .

والغريب أن الرعب حين يجتاح الإنسان اجتياحا فإنه يصير عرضة لارتكاب أفعال متناقضة قد لا يمكن التنبؤ بها ؛ فكثيرا ما ينتاب بعضا ممن كنا نظنهم شجعانا فإذا بهم وقد استسلموا تماما لمصدر رعبهم في حالة من الشلل التام دون أن يصدر عنهم أي رد فعل دفاعي ، مما قد يفضي في كثير من الأحيان إلى فقدانهم الحياة تحت تأثير هذا الخطر الداهم . وأحيانا أخرى ينتاب الرعب بعضا ممن نظن بهم جبنا فإذا بهم وقد أصابهم الرعب بحالة مؤقتة من الشراسة والقوة غير المنتظرة وإذا بهم مدافعين شرسين عن أنفسهم وعن ذويهم إلى درجة قيامهم بقتل من يفوقونهم قوة بدنية بمراحل .

والأغرب أن الإنسان كثيرا ما يسعى بنفسه إلى توليد الرعب ليصيب به نفسه والمحيطين به ، بل ويتفنن فيه بعبقرية يحسده عليها أرباب الفن والإبداع وكأنه يسعى خلف لذة يستمتع بها كما يستمتع بلذاته الغريزية . ألا ترى معي ذلك التعبير المرتسم على وجوه الأطفال وقد تحلقوا حول جداتهم لسماع قصص الغيلان والعفاريت ؟ ذلك التعبير المازج بين الدهشة والابتسام والمفاجأة . . . والرعب . ألا ترى كم الأفلام العالمية التي تقدم للناس قصص الرعب في مشارق الأرض ومغاربها إلى درجة أن

أفلاما منها بعينها قد صارت من علامات السينما الكلاسيكية وإلى درجة أن قصصا منها بعينها يعاد إنتاجها في أفلام متعددة دون أن ينقص ذلك من شعبيتها وإقبال الناس عليها ، بل يزيد منها ويضيف إليها غموضا ؟!

ألا ترى معي أن قصص وروايات الرعب والخوارق والعوالم السحرية من أكثر الروايات والقصص مبيعا على المستوى العالمي وأن كتابها ومبدعيها يتفوقون شهرة وثروة على أساطين الرواية والشعر والقصة في العالم ؟

ثم ها هي بيوت الرعب تتصدر قائمة الإيرادات بين الأقسام الخاصة في مدن الملاهي والمتنزهات ... كل ذلك فقط من أجل حصول الناس على تلك اللذة المجهولة ... لذة الشعور بالرعدة التي تسري كالكهرباء أسفل البشرة ... لذة الرعب .

ولكن كيف بدأ الإنسان قصته مع عالم الرعب ؟ وكيف تطورت فصول هذه القصة عبر تاريخ الحضارات والثقافات المختلفة ؟ ولماذا نجد تشابها كبيرا بين كائنات الرعب والفزع وإجماعا عالميا على السمات العامة لها ؟

يبدو أن الإجابة على السؤال الأخير بالذات يمكن أن تأتي من نظرية "الأنماط الأساسية" التي اقترحها عالم النفس الشهير "كارل يونج" . فالأنماط الأساسية هي أشكال وأفكار أولية متضمنة في العالم الروحي / العقلي . وقد استخدم "كارل جوستاف يونج"

Carl Gustave Jung (توفى عام ١٩٦١) هذا المفهوم لتمييز الرموز ، الأشكال والصور المشتركة بين البشر ، والتي من الممكن العثور عليها في الأحلام ، كما توجد في الأساطير ، القصص الخرافية . . الخ . وقد أطلق عليها مصطلح " اللاشعور الجمعي " Collective Unconscious و أكد أن هذه الرموز ، من الممكن أن تقود الإنسان بواسطة وسائل بصرية إلى التفرس في الهياكل البنائية الخاصة بالخواطر العقلية .

وبتعبير أوضح فإن " يونج يرى " أن هناك أشكالا ورموزا بعينها تكون مسئولة عن توليد مشاعر وأحاسيس بعينها لدى البشر على اختلاف ثقافاتهم وتنوعهم . وأن هذه الأشكال والرموز هي بمثابة ميراث فطري لدى كل البشر يشتركون فيه باعتباره (عقل باطن) كبير يضم كل البشر منذ آلاف السنين وأن دراسة وتحليل هذه الرموز من الممكن أن تقودنا إلى فهم الطريقة التي يتم بها خلق التصورات العقلية .

ولو طبقنا هذه النظرية على عالم الرعب وما يحويه من كائنات وأشكال تثير الفزع والهول في النفوس فسنجد أنها تقودنا إلى صفتين عامتين وأساسيتين لدى هذه الكائنات لابد وأن تتميز بهما على الدوام ألا وهما (الغموض والتعقيد) .

ولكي نفهم ذلك علينا أن نتصور الآتي : عندما يحاصر إنسان ما في حريق كبير فإنه ولا شك سيكون في قمة الخوف نتيجة التهديد بالموت حرقا ؛ إلا أنه يكون عندها واعيا تماما بطبيعة

الخطر المحيط به (النار) وبأقصى ما يمكن أن يلحق به من أذاها (الموت حرقا أو التشويه) . إلا أن الخوف هنا لا يكون ممزوجا بذلك الغموض الذي يولد في النفس آلاف الأسئلة عن طبيعة كائن خرافي أو منزل يقال عنه أنه مسكون أو . . . الخ ؛ ذلك الغموض الذي قد يخلع على الخوف العظيم أحيانا لمحة من لذة التشويق برغم الإحساس بالخطر المحدق .

وهذا الغموض تحديدا هو أساس ما يتمتع به أي كائن مرعب من قدرة على إثارة الرعب والفزع ، بل إن حظه من الشهرة والشعبية يعود في غالب الأمر إلى هذا الغموض ؛ فنحن لا نعلم على وجه اليقين ما هي طبيعة العفاريت وما هي حدود قدراتها تقريبا وما إذا كانت شريرة بالفطرة أو أن خيرها وشرها يتوقف على عوامل معينة . . . الخ وهو ما ينطبق أيضا على كل كائنات الرعب في التراث العالمي . والغريب أن هذا الغموض يظل جاثما طوال آلاف السنين برغم آلاف القصص والحكايات التي حكيت عن عالم هذه الكائنات وبرغم آلاف التجارب التي أجريت لكشف سر هذه العوالم وبرغم آلاف المعالجات الفنية – قصصا وأفلاما – التي صيغت لتجسيدها .

الصفة الثانية هي التعقيد ؛ فدائما ما نرى في الأعمال التي تحاول تجسيد كائنات الرعب ميلا نحو إضفاء المبالغة والتعقيد والتركيب على شكل وطبيعة هذه الكائنات ؛ فنجد دائما أن المسوخ تتجسد على شكل مركب ومعقد من عدة كائنات

شريرة أو خطرة – كأن تأتي على هيئة جسم إنسان بأقدام حيوانية ورأس كائن بحري قبيح ... الخ – وهي صفة ترتبط أساسا بالصفة الأولى (الغموض) وتترتب عليها ؛ لأن الإنسان لما كان لا يعرف على وجه التقريب ماهية وطبيعة كائنات الفزع فإنه يلجأ إلى التعبير عن جهله بهذه الطبيعة إلى تجميع أكبر كم من الصفات القبيحة والشريرة المستمدة من صفات وأشكال الكائنات الحقيقية المحيطة به والتي ارتبطت في عقله بأفعال الأذى والتدمير ولكن على نحو يخرج بها من إطار الأذى العادي المعروف إلى نطاق أوسع وأكثر غموضا من توقع الأذى غير المحسوب ولا المتوقع .

ولذلك فإن تصوير هذه الكائنات وتخيلها دائما ما يتم بأسلوب يجمع العديد من الأعضاء المنتمية إلى أصول حيوانية مختلفة جنبا إلى جنب مع أعضاء الإنسان بصورة منفرة يغلب عليها القبح وعدم الاتساق في غالب الأحيان .

والخلاصة أننا نستطيع أن نقول إن الرموز والأشكال التي ارتبطت في الخيال البشري بكائنات الرعب قد جاءت تعبيرا عن مواطن من العقل الباطن مشحونة بعشرات الأسئلة التي لم يجد الإنسان إجابة لها في عالمه المحيط وتجاربه المباشرة وظلت ميراثا دائما ومتواصلا يتتابع من جيل إلى جيل ويساهم فيه كل الناس بنصيب متفاوت من التطوير والإبداع ويضمن له الغموض ولذة المجهول دوام الوجود والانتشار .

ونظرة إلى الأعمال الفنية والأثرية التي تركتها لنا الحضارات القديمة في هذا الصدد كفيلة بأن نعي هاتين الصفتين (الغموض والتعقيد) في بقايا الآثار التي صيغت للتعبير عن هذا العالم ؛ فنجد البابليين والآشوريين سكان أرض النهرين (العراق القديمة) يتخذون تماثيل واقية من أذى الأرواح الشريرة ؛ حيث كانوا يعتقدون أنهم عرضة دوما لأذى الشياطين ، فكانوا يعملون على مطاردتها بإقامة منحوتات مخيفة في مداخل القصور والمدن، كما كانوا يدفنون تحت عتبات بيوتهم تماثيل صغيرة من الفخار لكائنات حارسة تقيهم من أذى الشياطين .

والغريب أن تأمل أشكال هذه التماثيل الحارسة يفصح بدوره عن قدر كبير من (الغموض) و(التعقيد) ؛ فنرى رؤوسا لحيوانات لا ندري على وجه التحديد هل هي أسود أم كلاب أم أنواع لحيوانات أخرى لا يعرفها سوى سكان هذه البلاد ، ثم نجد دائما هذه التعبيرات المخيفة على وجوه هذه التماثيل وكأنها قد اكتسبت وعيا بشريا وأخذت في إخافة كائن مجهول ناظرة إليه جاحظة العينين فاغرة الفم . وكأن الآشوريين والبابليين لم يجدوا حيلة أمام كائنات الرعب وسكان عالم الظلام سوى أن يقتبسوا منها هي ذاتها غموضها وتعقيدها ليكونا سلاحين رادعين للوقاية من أذاها وشرها (شكل رقم ١) .

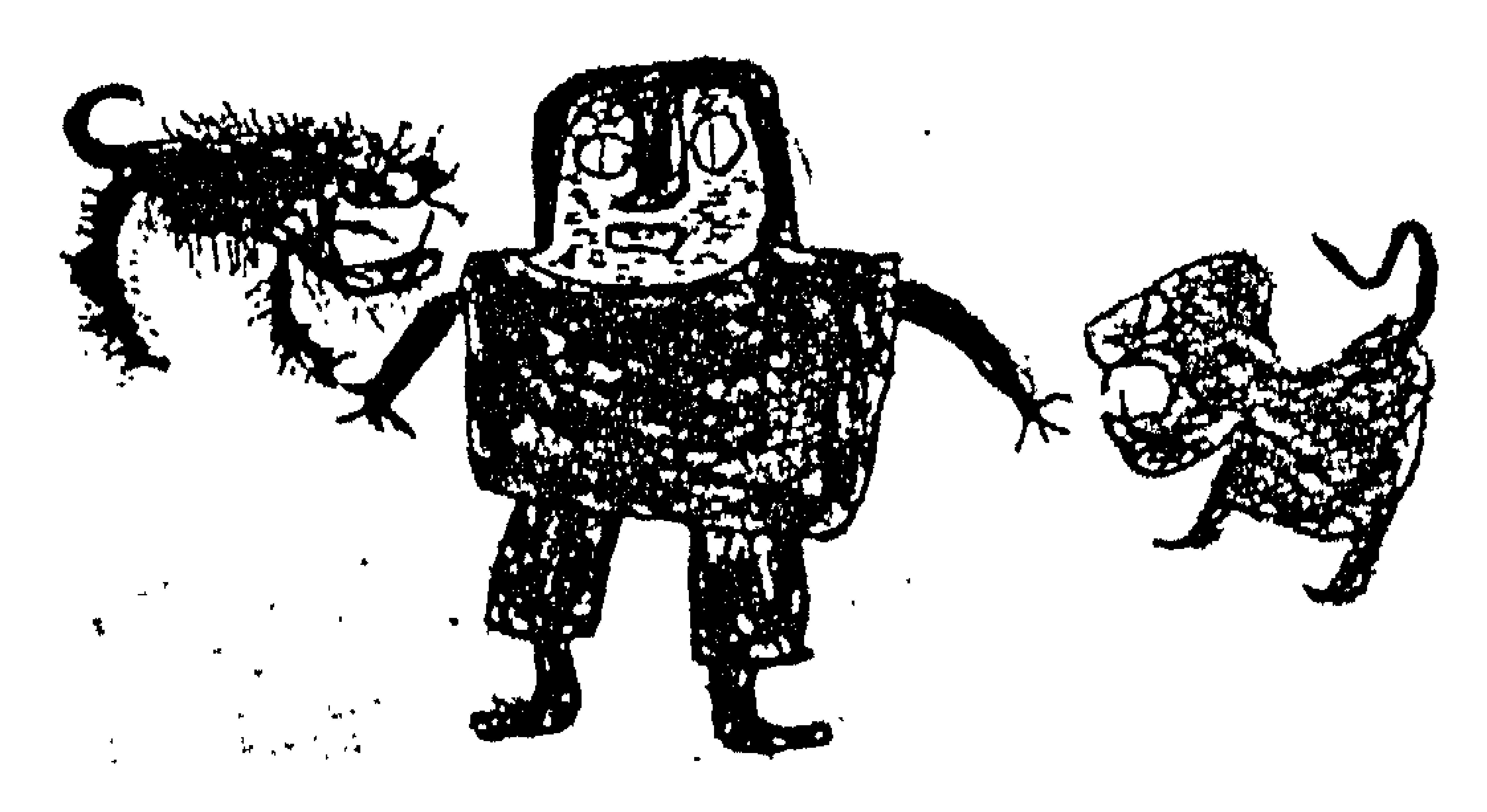


شكل رقم ١

تماثيل آشورية وبابلية لحراسة المنازل من أذى الشياطين – العراق القديم .

ويبدو أن نظرية " يونج " تجد برهانا لها إذا ما تأملنا عددا من رسوم الأطفال التي تعبر عن تصوراتهم الخاصة بكائنات الرعب والفزع ؛ فإننا سنجد دائما أن أشكال هذه الكائنات تتميز في رسوم الأطفال باستعارة صفات الحيوانات الخطرة التي استقر أذاها في ذاكرتهم من خلال التجربة – كالكلب الذي ينبح ويعض

والقط الذي يخمش .. الخ - كما سنلاحظ أن التعقيد والتركيب يتضح من خلال جعل هذه الكائنات تتخذ تعبيرات إنسانية أقرب إلى تعبيرات الغضب والصياح والتهديد . والغريب أن مقارنة رسوم الأطفال برسوم القبائل البدائية تعكس تطابقا مهولاً في هذا الصدد ؛ فنشاهد رسما يعود إلى قبيلة " إجلوكيك " Iglukik وهي إحدى قبائل الإسكيمو يعبر عن عذاب الروح البشرية بين اثنتين من الأرواح المخيفة ؛ حيث تأتي الملحوظة الأولى في التطابق المذهل بين سمات رسوم الأطفال - من حيث عدم مراعاة القرب والبعد وإلقاء الأشكال في فراغ اللوحة .. الخ - وبين هذه الرسوم ، مما يرجح فرضية " العقل الجمعي " التي سبق وأن حدثنا عنها " يونج " كعقل باطن كبير يضم أفراد البشرية في تواصل وتشابه كاملين ، كما يؤكد مسألة لجوء الإنسان إلى اقتباس الصفات المتعددة للكائنات الطبيعية الخطيرة والمؤذية في تركيب معقد للتعبير عن الغموض والأذى المجهول الذي يصير الإنسان عرضة له وفريسة سائغة لقوى الظلام (شكل رقم ٢) .



شكل رقم ٢

رسم لأحد أفراد قبائل الإسكيمو يعبر عن عذاب الروح بين الشياطين .

وبرغم بساطة أسلوب الرسم الشبيه برسوم الأطفال لدى أفراد هذه القبيلة إلا أننا نلاحظ جموحا كبيرا للخيال ولجوءا للتعقيد في تصور الكائنات المرعبة ذات الطابع الغيبي المجهول ؛ لدرجة إبداع أشكال خيالية لا نكاد نستطيع أن نعزوها لكائنات طبيعية محددة ، الأمر الذي يؤكد على أصالة الفكر الجامح في لا وعي الإنسان ؛ حيث يبدو أحد الرسوم وقد استقرت فيه عدة كائنات مرعبة ، برغم بساطة أسلوب رسمها إلا أنها أتت بشكل غاية في التعقيد وهو ما نلحظه في تركيب الكائن العلوي الذي أتى على هيئة إنسان صارخ مشوه الوجه ذي عينين مشقوقتان طوليا ، بينما أتى الكائن الآخر على هيئة شبه بشرية منتصبة على قدمين إلا أن الجسد والرأس أبعد ما يكونان عن أية هيئة بشرية معهودة ، بل هما إلى ثدييات الماء أقرب . كما أضاف انحناء الظهر

واستخدام العصا في اليد بعدا دراميا يشير إلى فكرة التصاق الشر والسحر والأذى بشخصيات المسنين والعجائز – وهي فكرة منتشرة عالميا – نظرا لما يملكونه من معرفة وعلم بسبب تجاربهم التي ضمنها لهم كبر السن ، الأمر الذي يعكس خوفا لدى الإنسان من المجهول ومن الشر الذي قد يأتيه من قبل من يملكون العلم والإجابات على الأسئلة التي لا يجد لها تفسيرا لديه (شكل رقم ٣) .



شكل رقم ٣

رسم لإحدى قبائل الإسكيمو يوضح كائنات مرعبة .

عفاريت وأماكن مسكونة

ربما لم يظهر من بين كائنات الرعب من هم أشهر من العفاريت وربما لم ينتشر مفهوم خاص بأحد من كائنات الرعب في كل الحضارات والثقافات قدر انتشار مفهوم (العفريت) . بل إن شهرة العفاريت تمتد لكي تشمل تحت لواءها عددا كبيرا من كائنات الرعب والهلع التي قد لا نستطيع أن نفرق بينها للوهلة الأولى ، كما قد لا نستطيع أن نعرف يقينا هل يرجع اختلاف المسميات فيها إلى اختلاف طبيعة كل منها عن الآخر أم أن ذلك يعود إلى تنوع لفظي في الكلمات الدالة عليها في اللغات المتعددة أو في لهجات اللغة الواحدة ، وهو ما يتضح من خلال تتبع ألفاظ (العفريت) ، (الجن) ، (الشيطان) و(الشبح) وما يقابلها من ألفاظ متعددة في اللغات الغربية للدلالة على كائنات ظلامية مرهوبة الجانب ولها صلة قوية بعالم الموت والسحر وتميل للشر أكثر مما قد تميل للخير ، فضلا عما تتمتع به من قدرات خارقة تزيد من رهبتها في نفوس البشر .

وإذا تتبعنا بعض الألفاظ الدالة على أنواع هذه الكائنات في اللغة العربية فسنجد بعضا من المفاهيم التي تساعدنا على التفرقة بين حدود ومهام كل منها ، كما أنها ستكشف عن ثراء المخيلة العربية واللغة العربية وقدرتها على صياغة وتوليد ألفاظ وافية دالة على دقيق الفروق بين المفاهيم النابعة من أصل واحد .

فإذا أخذنا لفظ (جن) في اللغة العربية فسنجد أن أصل الجن : ستر الشيء عن الحاسة ، يقال : جنه الليل وأجنه وجن عليه ، فجنه : ستره ، وأجنه جعل له ما يجنه ... والجنان : القلب ، لكونه مستوراً عن الحاسة ، والمجن والمجنة : الترس - أي الدرع - الذي يجن صاحبه ... والجنة : كل بستان ذي شجر يستر بأشجاره الأرض .. والجنين : الولد ما دام في بطن أمه .. والجنين : القبر .. والجن يقال على وجهين : أحدهما للروحانيين المستترة عن الحواس كلها بإزاء الإنس ، فعلى هذا تدخل فيه الملائكة والشياطين ، فكل ملائكة جن ، وليس كل جن ملائكة ... وقيل: بل الجن بعض الروحانيين وذلك أن الروحانيين ثلاثة :- أخيار وهم الملائكة ، أشرار : وهم الشياطين وأوساط فيهم أخيار وأشرار : وهم الجن .. والجنة : جماعة الجن ،.. والجنة : الجنون ... وقوله تعالى : ﴿ **كَأَنَّهَا جَانٌّ** ﴾ [**النمل**: ١٠]، قيل : ضرب من الحيات . وقد تسمى الحية الدقيقة شيطاناً وجاناً على التشبيه .

وفي بعض الأخبار ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن بين السماء والأرض بحر من نار ليس لها دخان فيقال أن الجان خلقوا من ذلك البحر . أما إذا تتبعنا لفظة (عفريت) في مفهوم العرب فسنجد أنها ترد للدلالة على الجن حينما يتميز بصفات خاصة منْ القدرة والقوة التي لا تتاح لغيره من الجن ، كما أنها تدل على ميله في الأغلب إلى تسخير قواه العارمة هذه في جوانب

الشر أكثر منها في جوانب الخير . فنجد أن العفريت من الجن : هو العارم الخبيث ، ويستعار ذلك للإنسان استعارة الشيطان له ، يقال : عفريت نفريت .. وأصله من العفر أي : التراب ، وعافره : صارعه ، فألقاه في العفر .. وليثُ عِفرين: دابة تشبه الحرباء تتعرض للراكب ، وقيل عفرته الديك والحبارى – نوع من الطيور – للشعر الذي على رأسهما .

وقد كان للعرب تناول دقيق في استعمال الألفاظ الدالة على الجن واستعملوا لذلك عددا كبيرا من المسميات للتعبير عن صفاتها المختلفة ؛ فإذا ذكر الجن خالصاً فهو " جن " وإذا ما كان يسكن مع الناس فهو " عامر " وإذا كان مما يعرض للصبيان فهو "روح" وإن خبث ولؤم فهو " شيطان " وإن زاد على ذلك فهو "مارد" وإن زاد وقوى أمره فهو " عفريت " . و" السعلاة " سحرة الجن ، و" الغول " إناث الشياطين تتلون في أشكال مختلفة . والجن لا يظهر للبشر في حين أن الغول يظهر ليلاً والسعلاة تظهر صباحاً .

وقد عرف العرب أيضا عددا من المخلوقات المرعبة المؤذية التي تشترك مع الجن والعفاريت في صفة القدرة على الاختفاء عن العيون والبعد عن حواس البشر ؛ ومن هذه الكائنات "القطرب" و" الهاتف " . فالقطرب نوع من الأشخاص المتشيطنة وكانوا يعتقدون أنها تظهر في أكناف اليمن وصعيد مصر . أما الهواتف فهي التي تهتف بصوت مسموع وجسم غير مرئي .

ويعتقد المصريون أن الجن كثيراً ما يتقمصون أجسام الحيوانات كالكلاب والقطط وما شابه .. وحتى أواخر القرن التاسع عشر كان يسود الاعتقاد أن كل حي من أحياء القاهرة له جن حارس يتجسد دائماً في شكل ثعبان .

وبصفة عامة يمكن أن نستخلص أن الذهن العربي يرى في العفريت نوع من الجن المتشيطنة ومثله الغول ويربطهم دائما بالخفاء وبارتياد الأماكن الخربة والمهجورة والمقابر ويعزو إليهم القدرة على القيام بالخوارق فيتلونون بأشكال مخيفة مختلفة وقد يتقمصون في أجساد الحيوانات المتوحشة ليهاجموا الإنسان ويقتلوه.

ويمتد مفهوم العفاريت إلى الغرب في صورة عدد من الكائنات ذات الصفات القريبة الشبه – إلى درجة التطابق أحيانا – بالعفاريت والجن في الثقافة العربية . وأول هذه الأنواع من الكائنات يأتينا تحت مسمى " الفيريس " Fairies و هو المصطلح الذي تتم ترجمته إلى اللغة العربية إلى لفظ " الجان " . ومخلوقات الجان Fairies في الثقافة الغربية هي : كائنات غيبية ضئيلة الحجم ، عادة ما تسكن الغابات أو باطن الأرض وتتمتع بقدرات خارقة متعددة. وينقسم الجان – طبقا للمفهوم الغربي – إلى عدد كبير من الأنواع والأجناس التي يتميز كل منها بصفات مختلفة ويأتي تحت مسميات متعددة ؛ ومن أشهرها كائنات "الإلف" Elves. وكائنات "الإلف" Elves شائعة في الأساطير

الشمالية الأوروبية ، وتنقسم إلى أخيار وأشرار . ويبدو أنها هي مصدر قصص الجان في الفولكلور الجرماني والذين كانوا مثل "الإلف" شرسين " ومؤذين .

كما اتبع المدرسيون الأوربيون اسم " الجنوم " Gnome لوصف قوى عناصر الأرض ، وهى أرواح ضئيلة الحجم تعيش تحت الأرض وتحرس الكنوز المخبوء ة وتتحرك تحت الأرض بنفس السهولة التي تتحرك بها في الهواء .

و" الإلف " الأشرار كانوا يسكنون الكهوف ومتعطشين لعمل الشر كلما أمكنهم . وكانوا مهرة في الصناعات اليدوية برغم اعتبارهم كائنات شيطانية ، ويقال أن الآلهة قد طلبوا إليهم عمل بعض الأدوات مثل مطرقة الإله " ثور " .

وبصفة عامة تتميز كائنات "الفيريس" الغربية بميزتين أساسيتين لابد من توافرهما دوما مهما كان جنسهم أو مسماهم؛ فهم أولا قصار القامة جدا بشكل ملفت ، حيث يتراوح طولهم بين حجم الحشرات الضئيلة وبين حجم الأقزام البشرية . أما ثاني صفاتهم المشهورة فهي قدراتهم الخلاقة على صناعة واختراع طائفة كبيرة من المصنوعات والأجهزة الدقيقة التي اشتهر بعضها بقدرات سحرية خارقة وورد ذكر كثير منها في عدد من القصص والروايات الشهيرة كما اشتهروا أيضا بكونهم مسئولين عن خصوبة المزروعات ونمو النبات والحيوان .

والغريب أننا نجد تشابها كبيرا بين هذه الكائنات المرعبة الخفية – الجان أو " الفيريس " – كما يراهم الغربيون وبين أسلاف سحيقة القدم عرفها المصريون القدماء ، بل وأدرجوا بعضها في عداد الآلهة المعبودة ؛ فإذا ذهبنا قديما في الزمن وقصدنا مدينة " منف " [قرية ميت رهينة الحالية بالبدرشين] وتأملنا المعتقدات الخاصة بمعبودها " بتاح " فسنجد أنه كان إلها مرتبطا منذ البداية بالصناع وعلى الأخص النحاتين . ولأن الذين كانوا يصنعون الحلي في الدولة القديمة كانوا في غالب الأحيان أقزاماً فقد اعتبر المصريون القدماء أن هؤلاء الأقزام كانوا في حماية " بتاح " وكان لهؤلاء الأقزام معبودات أوصياء أقزام مثلهم ينسبوهم إلى " بتاح " Patique وكانوا يعدونهم بمثابة أبناء " بتاح " ، ولذا فإن " هيرودوت " يعقد موازنة بين هؤلاء الآلهة الأقزام المهرة في الصناعة الدقيقة وبين أحد المفاهيم الإغريقية الموغلة في القدم والتي كانت تسمى باسم " الكابير " Cabires بمعنى النار في أشكالها السماوية والبحرية والأرضية والتي كانت بمثابة معبودات عظيمة في زمن بدائي توارى في ظلمات عهود الهلينية ولكن في الأساطير الشعرية وفى اعتقادات العامة هوت مكانتهم إلى مرتبة الشياطين Daemones، وتجعل منهم بعض التقاليد كهنة في العصور الأولى .

وقد ارتبط العفاريت والجن في أغلب الأحيان ارتباطا وثيقا بعالم الموت وبأجساد الموتى وأرواحهم – خاصة إذا ما كانت

الوفاة نتيجة لحادث أليم أو لجريمة قتل – كما ارتبطوا بدنيا المقابر والأكفان والتوابيت . ولم يقتصر هذا الارتباط على ثقافة بعينها وإنما نجده منتشرا ومتوغلا في معظم ثقافات العالم شرقا وغربا . وربما نجد لدى علماء النفس إجابات للرد على السؤال المنطقي الذي يدور في أذهان الكثيرين منا حول سبب ارتباط العفاريت بالجثث الآدمية وجثث القتلى منها تحديدا ؟ ذلك الارتباط الذي أدى إلى بزوغ ذلك الصنف من الكائنات المرعبة الذي عرفناه باسم " الشبح " . وقد أورد الأنثروبولوجيون [دارسوا علم الإنسان] مراراً أن الشعور الغالب على الأحياء هو الرعب من الجثة والخوف من الشبح وأن هناك عددا من الانفعالات بالغة التعقيد وحتى المتناقضة في علاقة الإنسان بجثث الموتى التي يمكن تحليلها إلى عدد من العناصر المهيمنة؛ فمنها حب الميت – وذلك عندما يكون بالطبع قريبا أو حبيبا – والاشمئزاز من الجثة في نفس الوقت باعتبارها نجس، الالتصاق العاطفي بالشخصية التي ما تزال تحوم حول الجسد ، وخوف مدمر من شيء مرعب تخلف عنه ، هذان العنصران على ما يبدو يختلطان ويتبادلان التأثير .

ويوضح التفسير السابق عددا من التقاليد والممارسات التي تنتشر بين القبائل البدائية التي ما زالت تعيش في عديد من بقاع العالم ؛ حيث تعود جذور هذه التقاليد والممارسات إلى آلاف السنين ؛ فنجد لدى كثير من القبائل والعشائر البدائية عادة

تتعلق بالاحتفاظ ببعض بقايا الموتى من الأقارب – خاصة من الزعماء والأبطال وذوي المكانة الممتازة – لتظل هذه البقايا حاضرة دائما أمام أنظار الجميع في المنازل والأماكن الهامة في منطقة وجود القبيلة ليتطلع إليها الجميع دائما متذكرين شخصية الراحل وصفاته وقدراته الفذة . وفي معظم الأحيان تتحول علاقة أفراد القبيلة بهذه البقايا إلى علاقة تقديس وتبجيل لا تلبث أن تتخذ شكل العبادة ؛ فيبدءون في تحويل مواهب الميت وقدراته التي اشتهر بها أثناء حياته إلى قدرات أسطورية مبالغ فيها ممزوجة بالرهبة والخوف من قدرته على الأذى والبطش . وكثيرا ما تمتزج هذه المعتقدات بقصص تدور حول حضور روح هذا الراحل بشكل من الأشكال لمكان البقايا المقدسة على هيئة شبح تتوقف طيبته أو شره على مدى حسن معاملة قبيلته لبقاياه المقدسة .

ومن أشهر الأجزاء التي يتم الاحتفاظ بها من جسد الميت لدى هذه القبائل الرأس أو الجمجمة التي كثيرا ما يتم حفظها بطرق متعددة بغرض الاحتفاظ بملامح الميت لأطول وقت ممكن . كما تزخرف هذه الرؤوس في أغلب الأحيان بالأصداف والألوان والأحجار شبه الكريمة وأنواع الزجاج الصخري والبركاني وكذلك تخصيص أشكال متعددة من القواعد الخشبية المزخرفة بالحفر لتنتصب عليها هذه الرؤوس . ويوضح (شكل رقم ٤) هيئة النصب الذي يعرف باسم "كورواي" Korwai عند القبائل

البدائية التي تعيش في جزر "ميلانيزيا" بالمحيط الهادي ؛ حيث يتكون من جمجمة بشرية مثبتة على مسند خاص من المعدن الذي يعلو قاعدة من الخشب المزخرفة بحفر في غاية الدقة تكريما لشبح البطل المتوفى واتقاء لشره في ذات الوقت .



شكل رقم ٤

أحد أنصاب " كوروراي " لتقديس أشباح الموتى في ميلانيزيا .

كما نجد لدى القبائل البدائية التي تعيش بالقرب من ضفاف نهر "سيبيك" Sepik في "غينيا الجديدة" عادة تتعلق بسلخ جلد رأس الموتى من الأحباء والقادة !!! وبعد ذلك يتم حفظ هذا الجلد بوسائل خاصة ثم تملأ بالطمي والحصى لتستعيد شكل الرأس من جديد ؛ حيث تعامل بنفس التوقير والاحترام اتقاء لشر الشبح واستبقاء لذكرى العزيز الراحل (شكل رقم ٥) .



شكل رقم ٥

رأس مدبوغة لأحد الموتى من قبائل " غينيا الجديدة " البدائية .

وكما أسلفنا من قبل ؛ كان للموتى الذين يموتون بطريقة غير طبيعية أو قاسية أو عن طريق القتل رهبة عظمى في نفوس كثير من البشر إلى الحد الذي يتم معه الربط بين هؤلاء الموتى وبين فكرة العفاريت والأشباح المؤذية . والعديد من القصص الشعبية في بلادنا الشرقية زاخرة بالأحداث التي تدور حول (عفريت فلان) المقتول الذي يحوم حول مكان الحادث ليذيق أذاه كل من ألقاه حظه العاثر للمرور في هذا الطريق . وهناك أصول عربية قديمة لهذه الفكرة كانت من القوة بحيث أنها كانت هي السبب الرئيسي في اشتهار عادة الأخذ بالثأر عند عرب الجاهلية ؛ حيث كان من المعتقد أن الإنسان حينما يقتل غدرا تخرج من رأسه الروح على هيئة طائر رأسه يحمل ملامح وجه ورأس القتيل وتأخذ في الصياح والعويل كطائر البوم وتقول : [اسقوني ... اسقوني] و تظل هكذا صارخة فوق قبر القتيل حتى يقوم أقاربه بالأخذ بثأره من قاتله فترتوي حينها هذه الروح الصارخة بالدم وترحل إلى غير رجعة ، هذه الصورة من صور الأشباح عرفها العرب باسم " الهامة " كما عرفوا صوتها الصارخ طلبا للثأر باسم "الصدى" وكانت بالنسبة إليهم شبحا مرهوب الجانب خاصة إذا ما تكاسل الآخذ بالثأر عن تتبع القاتل ؛ حيث تظل "الهامة" و"الصدى" يطاردانه في صحوه ومنامه حتى يقوم بواجبه الذي يحتمه عليه عرف الثأر !!

كما نجد في أوربا عادة شعبية استمرت حتى أواسط القرن الثامن عشر كانت تتمثل في الحرص المعتاد على دفن جثث

المنتحرين تحت صليب في مفترق طريقين خشية أن يتمكنوا بطريقة أو بأخرى من العودة للحياة في صورة شبحية تفتك بالأحياء .

فإذا ما توغلنا في الزمن عائدين آلافا من السنين للوراء فسنجد لدى المصريين القدماء مفهوما قريبا من مفهوم الشبح وإن اختلف عنه من عدة أوجه ، ألا وهو " الظل " ؛ وهو أحد المفاهيم التي كان المصريون القدماء يعتبرونها مكونا من مكونات الذات البشرية وذلك طبقا لنظرية متكاملة ترى أن الكائنات البشرية تنتمي إلى مملكتين : عليا وسفلى . وبينما تسحب أرواحها الأشبه بالطيور " البا " تجاه السماء بعد الموت، تظل أجسادها وظلالها مقيدة بالأرض . فالظل لا يلقيه الجسد وحده بل تلقيه الروح أيضاً ، وبخاصة فيما يتعلق بالحياة بعد الموت . وتذكر النصوص الجنائزية بشكل منتظم الظل مع ال"با" والجسد .وثمة صفتان أساسيتان يتسم الظل بهما : أنه قادر على حمل القوة ونقلها برشاقة وسرعة خارقة للطبيعة . ولكنه على عكس الـ" با " المتحركة بالتساوي ،لا يرقى إلى السماء ، بل يبقى متصلاً بالأرض وبالعالم المادي .

كما كان للإغريق اعتقادات شديدة القوة في علاقة الموتى وأماكن المقابر بفكرة الكائنات الغيبية المرعبة والمؤذية ؛ ففي المرحلة الوسطى من العصور الإغريقية نجد أن دفن الموتى يتم في مدافن خاصة خارج أسوار المدينة حيث انتشر التشاؤم

والخوف من الموتى وتم تفسير انتشار الأوبئة الناتج عن التصاق المقابر بالمنازل على أنها شرور وغضب من الأرواح والأشباح وبالتالي تم إبعاد الموتى ودفنهم في (مدن) خاصة بهم حيث نجد أن كلمة "نيكروبوليس" Necropolis والتي تعنى (مدينة الموتى) تقف في مقابل كلمة "بوليس" Polis والتي تعنى (مدينة الأحياء) أو (مدينة) . . . وفى أواخر العصور الإغريقية عاد تشجيع اتجاه دفن الموتى داخل المدن مصحوباً باعتقاد مطلق في قوى الموتى الخارقة ، حيث آمنوا أنه من المحرم أن يكذب المرء أو يتكلم بسوء عن الموتى أو الأرواح ، كما ساد الخوف من انتقام الأشباح الخاصة بالموتى ، فكان الناس بمقتضى هذا الاعتقاد يمرون في صمت على القبور لاعتقادهم أن اللغو قد يثير أشباح الموتى فتؤذيهم .. واكتسب شبح الميت لقب "الصامت" Siygelos فعندما يريد شخص أن يتحدث عن أحد موتاه فإنه يذكره بهذا اللقب خشية إغضابه . كما ساد اعتقاد أن الموتى أفضل من الأحياء وأقوى منهم وهو ما كانوا يعبرون عنه بجملة (بلتيونيس كاي كريتونيس) Beltiones Kai Kreittones وأيضاً اكتسبت أرواح الموتى لقب " الأفضل " أو (هوي كريتونيس) Hoi Kreittones باللغة الإغريقية القديمة ؛ مما أفرز تصورات تقول بإمكانية نهوض الموتى من قبورهم في هيئة جسدية كاملة لمديد العون للأصدقاء أو لإنزال الضرر بالأعداء .

وحاليا لا يزال الاعتقاد يسري في وجود منازل بعينها أو أماكن ـ عادة ما تكون منعزلة أو مغلقة وعادة ما تكون قد شهدت وقوع أحد أعمال العنف أو القتل ـ تعتبر بمثابة أماكن

(مسكونة) بالعفاريت والأشباح ، وهو اعتقاد لا يقتصر فقط على بلادنا الشرقية وإنما يجد صدى واسعا في الغرب أيضا ؛ حيث اشتهرت عدة أماكن ومنازل بوصفها معاقل لتواجد الأشباح والعفاريت .

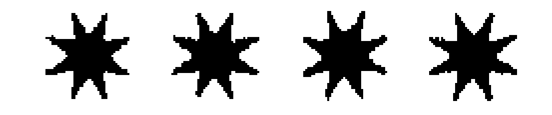
وفي كثير من الأحيان تنتشر قصص تتعلق بإحدى الأسر التي تنتقل للعيش في أحد المنازل فتفاجأ بحدوث ظواهر غريبة لا مبرر لها تكدر من صفو عيشهم بالمنزل ؛ حيث تنتشر ضوضاء مجهولة السبب وتتحرك قطع الأثاث وقد تشتعل النيران ويتفاوت الضرر ما بين العبث ثقيل الوطأة وبين فقدان حياة أحد أفراد الأسرة نتيجة لهذه الظاهرة التي تعرف باسم ظاهرة "بولتر جايست" Boultergyst و التي قد تنطق أيضا "بولتر جايشت" ؛ حيث برغم كونها كلمة مدرجة ضمن مفردات اللغة الإنجليزية إلا أنها ذات أصل ألماني وهي تعني

(الروح الصاخبة) وقد تستعمل أحيانا على نطاق ضيق للتعبير عن ظاهرة القدرة على تحريك الأشياء عن بعد . وقد ظهرت عدة نظريات لتفسير ظاهرة " بولترجايست " ؛ حيث تعزوها إحدى النظريات إلى خلل في النشاط الكهرومغناطيسي

للأرض يعبر عن نفسه من خلال توتر في الطاقة يتركز في أحد الأماكن بعينها ويظل فيها لفترة ، إلا أن هذه النظرية لم تفسر لماذا لا يتجاوز هذا التأثير الكهرومغناطيسي نطاق جدران هذه المنازل . كما فسرته نظرية أخرى على أنه نتيجة لبعض المواهب النفسية والروحية التي قد يتمتع بها بعض أفراد الأسرة أنفسهم – خاصة الأطفال – والتي تتسبب في حدوث هذه الظواهر إلا أن هذه النظرية شأنها شأن النظرية السابقة لها لم تفسر لماذا لا تستمر الظاهرة في الحدوث عند انتقال الأسرة إلى مكان آخر رغم استمرار تواجد هؤلاء الأفراد الموهوبين نفسيا بينهم .

ولمن قرأ الكتاب الأول من هذه السلسلة بجزأيه الأول والثاني واللذان يغطيان موضوع الطاقة الحيوية للإنسان فإن هناك نظرية طريفة تفسر ظاهرة " بولترجايست " عن طريق حقول طاقة الجسم ؛ حيث تقول هذه النظرية بأنه قد يحدث في بعض الأحيان حين يموت أحد الأفراد أن يظل قدر من طاقة غلافه الحيوي موجودا بالمكان الذي اعتاد العيش فيه أو بالمكان الذي شهد وفاته – خاصة إذا كانت ناتجة عن قتل – وأن هذا القدر من الطاقة يبدأ في التسبب بحدوث هذه الظاهرة . ومن حق القارئ أن يعرف أنني شخصيا – برغم تخصصي في مجال دراسات الطاقة الحيوية – متحفظ جدا بشأن هذه النظرية ، بل يمكن القول أنني رافض لها ؛ حيث إنني مؤمن بأن انتقال الروح إلى

جوار خالقها لابد وأن يستتبع بالضرورة انطفاء في قوى الوعي التابعة لحقول الطاقة الحيوية للإنسان وبالتالي فلا مبرر لحدوث ظواهر مادية تستلزم القيام بتركيز واع ومقصود ويتطلب احتشادا لقوى المجالات الحيوية .



لماذا " أمنا الغولة " وليس " أبونا الغول " ؟

الرعب النسائى (عرائس بحر ونداهات وأشياء أخرى)

المرأة .... ذلك الكائن الجميل الفاتن القادر على إشعال كافة المشاعر والأحاسيس التي قد لا تخطر على البال . تلك الأم والأخت والجدة والحبيبة والزوجة والابنة ... تلك المفجرة لأحاسيس الرومانسية الحالمة .. . والملهبة لمشاعر الغرام ... والتي تبذل حنان أمومتها دون تفكير في مقابل ، هي ذاتها المثيرة للقلاقل والمفجرة لانتقام الغيرة العمياء ... والمتفننة في إبداع عوالم النميمة وتقصي أسرار الغير . هي موضوع الحب وهي أيضا ضحيته على مذبح الشرف وهي ذاتها فخ لم يزل يلعق دماء ضحايا قتلاه من المحبين الذين تجاوزوا حواجز العرف . وهي أيضا ذلك الكيان الذي اشتهر عنه غموضه وارتباطه بعالم الأسرار .

ويبدو أن هذا الغموض وهذه الأسرار وتلك المتناقضات هي التي تسببت في توريط المرأة في المزيد من الأساطير التي تتعلق بكونها كائنا قادرا على توليد الأذى وإلحاق الضرر بالغير ..... خاصة إذا كان هذا الغير هو خصمها وعشيقها العتيد ..... الرجل !!

ونلاحظ دوما انتشار ظاهرة غريبة في مجال حكايات وقصص ظواهر الرعب الغيبي ؛ وهي الظاهرة التي تتمثل في كون عدد

كبير من كائنات الرعب والأذى الغيبي تأتي بوصفها شخصيات نسائية – أو أنثوية إذا شئنا الدقة – فتجد (العفريتة) و(النداهة) في القصص الشعبي المصري وتجد حكايات (أمنا الغولة) في التراث العربي وتجد عشرات من النساء الساحرات التي خلدهن الخيال الشعب الأوربي في حكاياته وتجد مئات من الشخصيات الأنثوية الغيبية المؤذية في أساطير الحضارات القديمة .

وهنا يقفز السؤال المنطقي ؛ لماذا كانت المرأة مرتبطة كل هذا الارتباط بالاعتقاد في وجود كائنات الرعب الغيبية ؟!

في عصور ما قبل سيادة العلم كانت الظواهر البيولوجية المتعلقة بجسد المرأة مصدرا للعديد من علامات الاستفهام والتصورات والخرافات التي اعتقدها الناس ورأوا فيها حقائق كونية لا تقبل النقض . فلنا أن نتصور كم الخرافات التي يمكن أن تكون قد دارت في أذهان الناس فيما قبل عصر الكشوف الطبية حينما كانوا يفكرون في معجزة الميلاد وفي قدرة جسد الأنثى على طرح الحياة في صورة مواليد صغار هم مشروعات لرجال ونساء . ولنا أن نتصور كم الهلع الممزوج بالدهشة عندما كانوا يحاولون فهم سر ذلك الرحم الخارق الذي يهب الحياة لوليد ما يلبث أن يجد حاجته وقد أشبعت في غذاء يوفره نفس الجسد الذي سبق وأن استضافه في جوفه عن طريق لبن دافق من ثديين حنونين .

ولنا أن نتصور مدى حيرة الرجال طوال حقب كاملة أمام ذلك

الجسد الذي يملك سلطة قاهرة لا يستطيعون مقاومتها حينما يغريهم ليطيلوا النظر إليه كبداية للتمتع بلمسه والاتصال به لإشباع غريزة لا تقهر لا يعرفون لها سرا .

ولنا أن نحتار مع دهشة الرجال الأوائل حين كانوا يلاحظون ذلك الاتفاق العجيب بين جسد المرأة وبين مراحل الطبيعة ودورة القمر حين كانت تعبر معه وطبقا لتوقيته أيام حيضها الشهري ؛ فتتعطل قدرتها على وهب المتعة الخالصة لأيام معدودات تكون خلالهن أشبه ما تكون بالقمر الغائب في أيام المحاق ثم تعود بعد انقضاءهن كأبهى ما تكون فتنة كما يعود القمر بدرا متألقا .

إن المرأة كانت طبقا لذلك توأما حقيقيا للأرض ؛ تلك الأم الكبرى التي ينفتح رحمها ليلفظ الخيرات ويهب الحياة للكائنات التي تدب على ظهرها ثم يعاود نفس الرحم الانفتاح مرات أخرى ليسترجع ما سبق وأن منحه من قبل وليصير قبرا يدفن في جوفه جثث أولاد سبق له وأن أنجبهم . فصار شأن المرأة شأن الأرض ... قدرة على المنح وقدرة على السلب ... قدرة على الحب وقدرة على التنغيص ... قدرة على توليد الحياة وقدرة على بث الموت ... ثم غموض وأعماق سحيقة من المشاعر التي لا يستطيع الرجل أن يسبر غورها كما لا يستطيع أن يسبر أغوار الأرض السحيقة .

ولذلك انتشرت في فترات تأسيس الأفكار الدينية لكل

الحضارات القديمة والديانات الوثنية فكرة تأليه كائنات مؤنثة وعبادتها على اعتبار أنهن إلهات أمهات وهبن للعالم حياته من أرحامهن ثم يسترجعنه مرة أخرى كإلهات للموت ؛ ولذلك كانت عبادات الإلهات الإناث دائما تتم بمراعاة هذا الجانب المزدوج الذي يشمل ألوهة الحياة والخصب والمتعة وألوهة الموت والتصحر والعذاب .

ثم تلا ذلك بعد حقب من الزمن نشوء العبادات الوثنية الخاصة بتقديس آلهة من الذكور الأبطال الذين يدور في فلكهم عدد من الآلهة الأقل شأنا ذكورا وإناثا كبديل عن العبادات المبكرة للإلهات الأمهات .

ولذلك نلاحظ أن كافة الأساطير المتعلقة بهؤلاء الآلهة الذكور في كافة ديانات الحضارات القديمة شرقا وغربا تتحدث عن ملحمة صراع مميت خاضه الإله الذكر ضد شيطانة أنثى أو ضد ظاهرة طبيعية ممثلة على هيئة أنثى وتنص دوما على كونه قد استقر في مكانته ككبير للآلهة عقب انتصاره على هذا الخطر المؤنث . وكأن هذه الأساطير قد صيغت لتبرر ظاهرة استبدال عبادة الأوثان المذكرة بسوابقها من عبادات الأوثان المؤنثة .

ثم أتت الديانات السماوية ورأت في المعبودات الوثنية القديمة شياطين نسبت إليها الشروحات الدينية كل الصفات الرذيلة الخاصة بالشياطين من قدرة على الإيذاء وفتنة الناس وإلحاق أنواع الهلاك المادي والروحي بهم . وظل التراث الشعبي

حاملا للعديد من البذور المنسية المنحدرة عن ذاكرة العصور الوثنية السحيقة لتختلط هذه البذور الفكرية الأسطورية بغيرها ولتسافر عبر الأقطار والأصقاع البعيدة لتعاد صياغتها مرة أخرى في تنويعات متعددة يلعب فيها الخيال البشري ويجدد كما يحلو له ولتتحول الإلهة الوثنية الأم إلى (أمنا الغولة) .

وإذا تتبعنا تراث الحضارات القديمة فيما يتعلق بكائنات الرعب المؤنثة ، سواء ما كان منها ذو صفة مؤلهة موقرة أو ذو صفة شيطانية متدنية المكانة فسنجد شبه اتفاق عجيب في كافة الديانات القديمة تقريبا في السمات العامة التي تمزج فكرة الأنوثة – خاصة ما كان منها على هيئة جسمانية بشرية مؤنثة – وبين أفكار الرعب المهلك والمؤذي .

وإذا بدأنا بالحضارة الإغريقية فسنجد لدى الإغريق ثروة من الكائنات المرعبة الغيبية ذات الشكل الأنثوي واللاتي تأتي " الجورجونات " في مقدمتهن .

والجورجونات هن " شينو" و" يوروالى " و" ميدوسا " Medusa اللاتي أقمن قرب مملكة الموتى وحديقة الخالدين ، وكن بشعات الوجوه لهن أجنحة ومخالب من البرونز ولعيونهن ضوء خاطف يصيب من يقع عليه بالهلاك ، وأفواههن واسعة ذات أسنان كريهة وتتوج الثعابين شعورهن . وكانت " ميدوسا " وحدها هي الفانية بينهن وكانت أقبحهن شكلاً لا يكاد يتطلع إليها أحد حتى يتحول على الفور إلى حجر . وقد اتخذت الآلهة

" أثينا " Athena من رأس الجورجونة شعاراً لها واستخدم البشر نسخة منه حماية لأنفسهم ضد الشرور وخاصة الحسد . وقد تنوع تصوير وجه " ميدوسا " في الفن بين القبح الدميم والجمال الفائق .

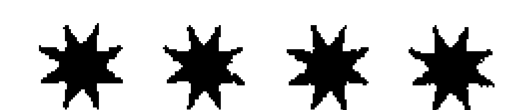
ويرى بعض الباحثين أن الجورجونات رمزياً يمثلن بعض القوى الخفية الأرضية ، أي تقلص الأرض والضغط الداخلي وإشعاع الضوء والحرارة من الكتلة الأرضية ، وأن اسم " الجو رجون " في حد ذاته يعنى " أعمال القوى الأرضية " وبالذات الحركة البركانية .

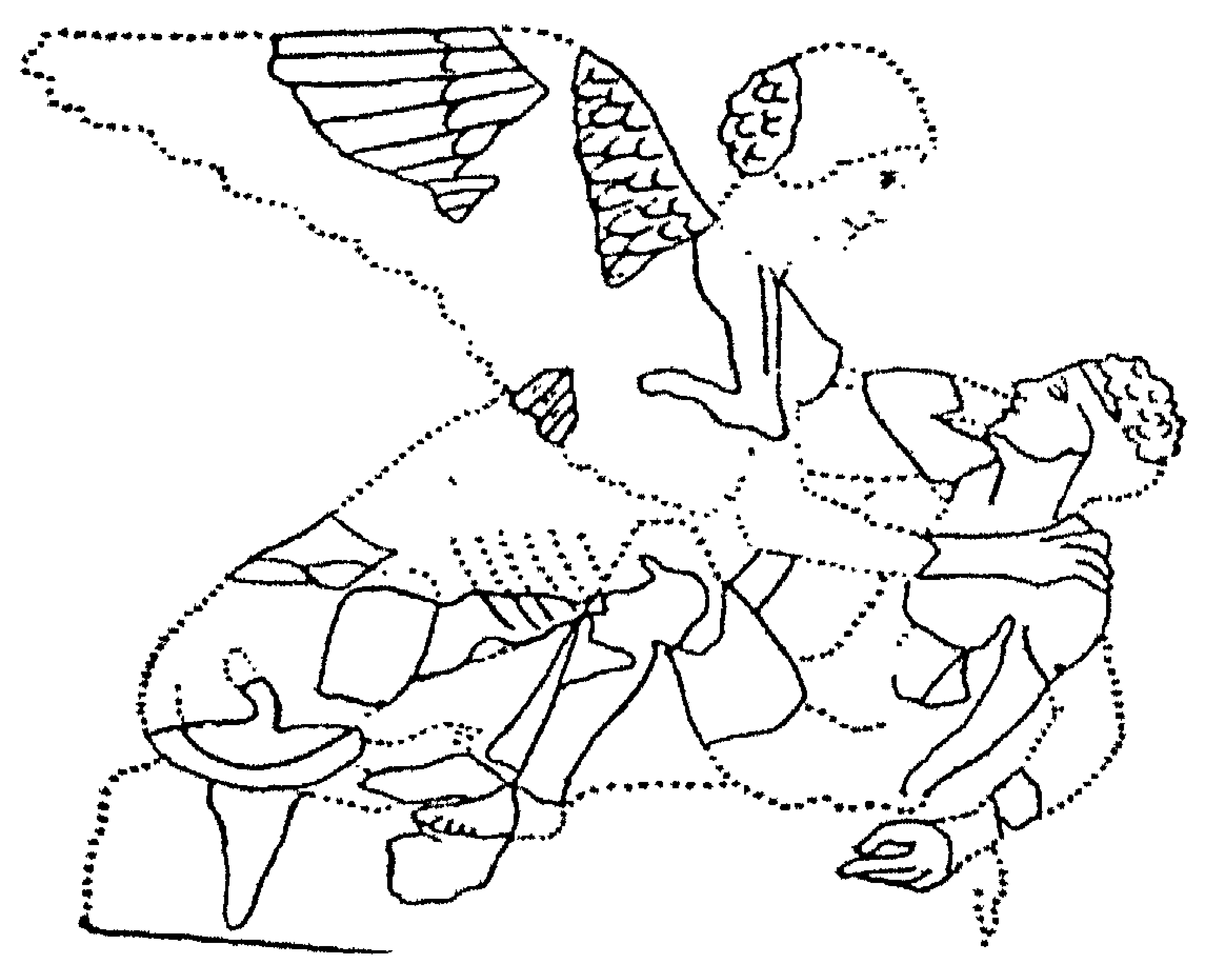


شكل رقم ٦

إناء خزفي إغريقي مزين برسوم توضح هيئة الجورجون " ميدوسا " .

وبرغم أن " أبا الهول " أو " سفينكس " قد اشتهر عالميا بكونه ذكرا بتأثير شهرة التمثال المصري القابع بجوار أهرام الجيزة إلا أننا نجد أن أبا الهول الإغريقي كان دائما أنثى ، كما كان يمثل شيطانا خبيثا – على حين أن أبا الهول المصري كان حارسا – غير أن أبا الهول المصري لا يكون لين العريكة إلا مع قومه المختارين .. كما أن واقع ظهوره حارساً للمعابد والمقابر إنما يشير إلى سليقة مفترسة ... ويحتفظ أبو الهول الإغريقي بخصائصه الحزينة في كل فرصة تقريباً ويبدو كأن ذلك إنما يربطه بالموت خاصة ، ومن ثم نراه مصوراً مزخرفاً على التوابيت .. ويرى البعض أن أبا الهول شيطان للموت السار ، وقد يربطه ذلك بمخلوقات مثل الجنيات (**sirens**) والنساء المجنحات . ويرى البعض أن " أبا الهول " كان رمزاً لقوة شيطانية جسماً وعقلاً وأن ما يمثل في الفن الإغريقي من صور أبى الهول على الآثار الجنزية إنما هي في الغالب علامة على القوة التي لا تقهر ولا يمكن دفعها وتودي بالناس . (شكل رقم ٧) ..





شكل رقم ٧

رسم يوضح بقايا من تمثال إغريقي لأبي الهول المؤنث .

كما امتدت الصورة الأنثوية المرعبة إلى إلهات الإغريق ؛ فكانت الإلهة " هيكاتي " Hecate : ربة الأشباح في الأساطير الإغريقية وابنة المارد " بيرسيس " perses و" أستريا " Asteria ، وكانت لها القدرة على السحر وتحريك الأشباح والأحلام وأرواح الموتى ، وامتد نفوذها إلى السماء والأرض والبحر والجحيم ، وكانت تسمى " لونا " Luna في السماء و" ديانا Diana على الأرض و" هيكاتي " أو " بروسربينا " Proserpina في الجحيم ،

وكانت تبدو بثلاثة رؤوس : برأس جواد وكلب وخنزير برى ، كما كانت تظهر بثلاثة أجسام مختلفة وثلاثة وجوه بعنق واحد .

وكانت الإلهة الإغريقية "أرتميس" إلهة الصيد والغابات والبراري الوحشية .. من ألقابها

"المدمرة" ، "سيدة الموت المفاجئ" وكانوا يعتقدون أنها تطلق سهامها فتصيب وتقتل وترسل الأمراض الفتاكة فتفنى المواشي والسكان ، اعتقدوا أيضاً أنها كانت تسر بالأضاحي البشرية خاصة على شاطئ "تاوروس" حيث كانوا يضحون بالغرباء الذين يقودهم حظهم العاثر لذلك الشاطئ ... والخصائص المميتة الكاملة للإلهة "أرتميس" تتجلى تحت اسمها الرهيب

"أرتميس – هيكات" سيدة الموت والظلام وعالم السحر والأشباح . حيث نجدها في صورة

"هيكات" مصحوبة بألقاب " القهارة " و"بريتانيا" سيدة الموت التي ترسل عفاريتها إلى الأرض لتعذيب الرجال وتظهر في الليل بموكب مرعب مصحوبة بحشد من شيطاناتها وكلابها المتوحشة فتجوس في المناطق المحيطة بالمقابر وتظهر عند تقاطع دروب السفر ، حيث كان الإغريق ومن بعدهم الرومان ينصبون صورتها المثلثة ويقدمون لها الأضاحي لاسترضائها وكفها عن غضبها .

وكـانت إلهـات الانـتـقـام الإغـريقـيـات الثـلاث أو " الإيـرينات الثلاث " اللاتي كان من ألقابهن

" كلبات الجحيم " و" بنات الليل الأبدي " فإذا وقعت جريمة تواجدن في مكانها بلمح البصر وقد تحول شعرهن إلى أفاع وتسلحن بالمشاعل والسياط فيطاردون المجرم حتى يطلنه ويرسلنه إلى الجحيم حتى يتابعن مهمتهن في تعذيبه هناك كمساعدات ليبرسفونى إلهة العالم الأسفل كما نجد ثالوثاً أنثوياً آخر كان الإغريق يعتقدون أنهن يعشن على شاطئ الغرب الأقصى عند حدود الليل ومملكة الموت على صورة ثلاث نساء أخوات هن : " الخوف " و" الرعب " و" الهلع " .

وكانت طيور الهاربي Harpies : في الأساطير الإغريقية طيورا وحشية مجنحة لها رأس امرأة وجسد عقاب ، زودت أقدامها وأصابعها بمخالب حادة ،وكن ثلاثة أوفدتهن الإلهة جونو Juno زوجة جوبيتر Jupiter لاختطاف الطعام من فوق موائد فينيوس Phineus ملك طراقيا عقاباً له على سمل عيون أبيه ، وكن ينضحن بنتن يفسد ما يصل إليه .

. . إلا أن إيقونوغرافية العصور الوسطى جعلت منها تجسيداً للموت . ثم أصبحت الهاربي نظيراً للمرأة التي تهلك الرجال بواسطة علاقات جنسية .

وكان الإغريق يعتقدون أن الرياح إنما هي أرواح الموتى وأن

الريح الطيبة هي أرواح الموتى الطيبين في حين أن الرياح العاصفة هي أرواح الأشرار .... وكانوا يطلقون على الرياح السوداء اسم هاربي Harpi وكانت الخشية منها تعم كل البلاد ، فهي تستطيع أن تغرق المراكب وتفسد المحاصيل وتمد أيديها الخفية لتنزع أرواح الرجال والنساء .

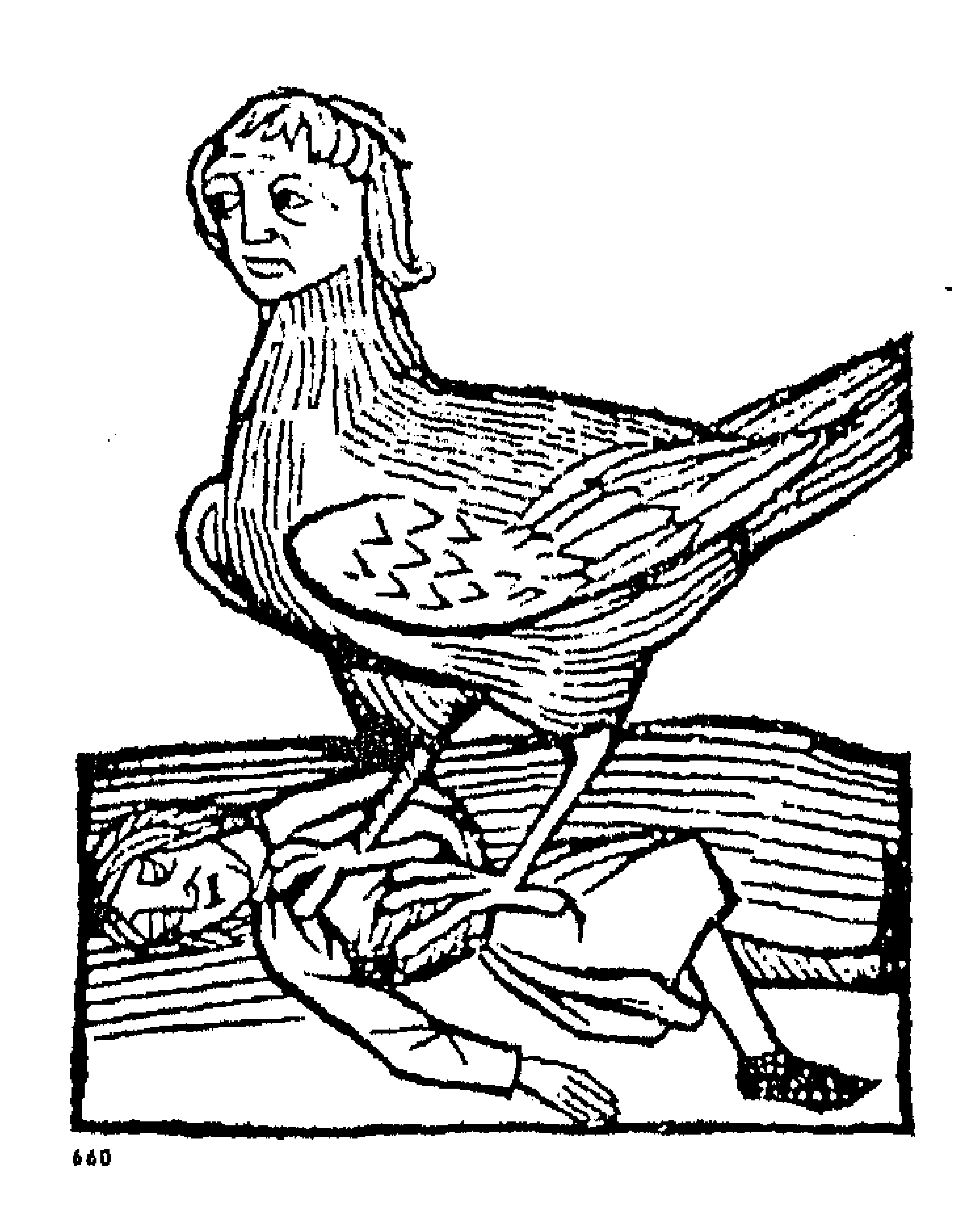
ويوضح (شكل رقم ٨) المفهوم الغربي لطائر " الهاربي " في العصور الوسطى والذي تأثر بشروح دينية متشددة ترى في المرأة طريقا للغواية الجنسية التي تفتك بالرجال ومن ثم تقودهم إلى الموت الروحي ؛ حيث العذاب والاستقرار في الجحيم .

وقبل أن نغادر عالم الرعب الأنثوي لدى الإغريق القدماء دعنا نتأمل معا واحدة من الأساطير التي تدعو إلى التأمل ؛ حيث سنكتشف معا فيها أحد الأصول القديمة لواحدة من أشهر الأقاصيص المرعبة التي ما زالت تحاك حول الرعب الأنثوي حتى الآن :

تروي الأساطير الإغريقية أن " سيلا " كانت فتاة جميلة يحبها إله البحر " جلوكوس " الذي تضرع إلى الساحرة " كيركي " لتساعده على الظفر بقلبها . ولكن كيركي كانت تغار منها ومن ثم دست أعشاباً سحرية في البحر الذي اعتادت " سيلا " أن تستحم فيه وهكذا استطاعت أن تحولها إلى مخلوق شائه له رأس امرأة وجسدها ذيل سمكة ويحيط بها كلاب تنبح وتعوي .. وتقول رواية أخرى أن " سيلا " قد تحولت هي نفسها إلى صخرة

تمثل خطراً كبيراً على الملاحين بين (ترينا كاريا) أي صقلية و(كالابريا) . وأخيراً فقد شاع في شروح العصور الوسطى لكتاب مسخ الكائنات أن " سيلا " رمز للشهوة أو الخطيئة .

رأس امرأة ... وجسد بذيل سمكة ... ألا يذكرك ذلك بعرائس البحر ؟!! هؤلاء الجنيات شديدات الفتنة اللاتي تمتلكن صوتا ساحرا وأجسادا متفجرة الأنوثة يسلبن بها ألباب البحارة ويغرقونهن في أعماق البحار ضحايا للجمال الفاتن . في الواقع أننا نجد انتشارا واسعا لهذا المفهوم في بلاد العالم لدرجة أنه لا يقتصر على البحار فقط وإنما يمتد ليشمل الأنهار ؛ حيث نجد في الريف المصري اعتقادات حول (عفريتة الماء) التي تغوي الناس على ضفاف النيل والترع الصغيرة لكي يقتربوا منها فتجذبهم بعنف وتغرقهم !!



شكل رقم ٨ طباعة من قالب خشبي توضح أحد طيور الهاربي يفتك برجل .

وفي الواقع أيضا أن " سيلا " لم تكن سوى واحدة من عدة كائنات أنثوية تعبر عن رعب الماء وتأتي كمزيج من الفتنة الأنثوية والرعب القاتل . أما أكثر كائنات الرعب الإغريقية اقترابا من فكرة عرائس البحر فهي " السيرينات " Sirens اللاتي وردت قصتهن في ملحمة

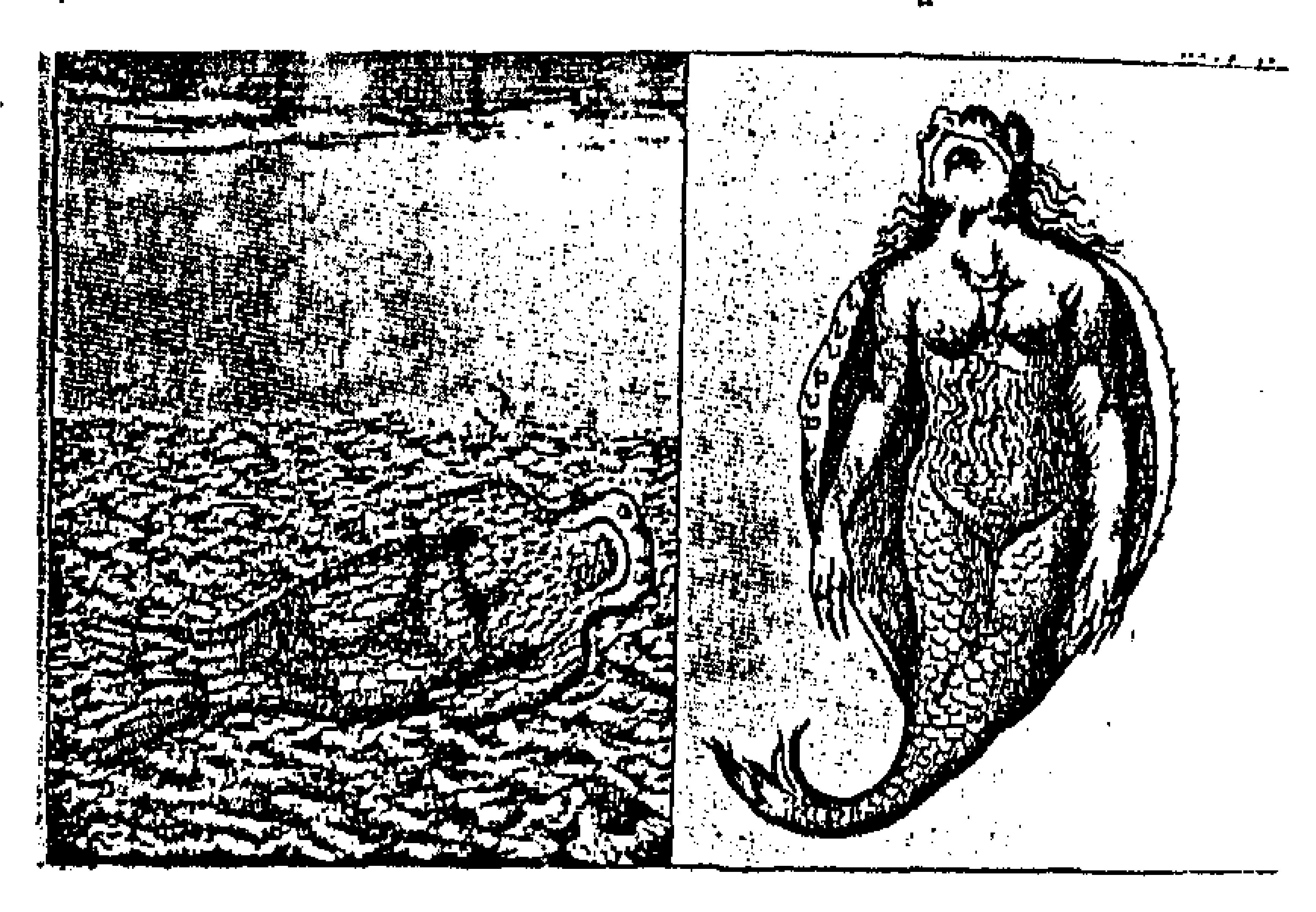
" الأوديسا " ؛ وهن جنيات متعطشات للدم كن يسكن جز تسمى جزر " سيرين " وكن يوصفن أحيانا على أنهن نساء بأجساد طيور – كطيور الهاربي – أو كنساء بذيول سمكية وهو الأشهر وكن يمتلكن أصوات ساحرة لدرجة تذهب بعقول البحارة فيقودون السفن نحو جزيرتهن ويلقون بأنفسهم طواعية لتفترسهم السيرينات وقد انتصر عليهن البطل " أوديسيوس " بأن سد آذان بحارة سفينته بالشمع وطلب منهم أن يربطوه في صاري السفينة حتى لا يستجيب لنداء عرائس البحر . وقد احتفظ لنا المتحف المصري بالقاهرة بأحد التماثيل الإغريقية التي تمثل أحد عرائس الماء " سيرين " في صورتها التي تنتهي بجسم طائر، وسوف نلاحظ حرص النحات على إضفاء جمال ملحوظ على ملامح وجه السيرين . (شكل رقم ٩) .



شكل رقم ٩

تمثال عروس البحر " سيرين " من العصر البطلمي - محفوظ بالمتحف المصري

وتظل عرائس البحر Mermaids حتى الآن موضوعا أثيرا يلهب خيال المبدعين في كافة التخصصات ؛ في الروايات والشعر والسينما وكنجمة متوجة في الرسوم المتحركة ورسوم الأطفال . ويحتفظ لنا أحد أعمال الرسوم التوضيحية المطبوعة في فرنسا خلال القرن الثامن عشر بمشهدين متجاورين لأحد ثدييات الماء الذي تم العثور عليه وقتها في نهر " الكونغو " وظن الناس للوهلة الأولى أنه أحد عرائس الماء وأطلقوا عليه لقب (المرأة السمكة) . ومن الواضح أن اقتراب الشكل العام للكثير من الثدييات المائية - كسبع البحر والفقمة ... الخ - من شكل الجسد الآدمي والنسائي تحديدا - خاصة أنها ترضع صغارها - قد ساهم في خلق أسطورة عرائس البحر لتتحول إلى إحدى علامات الرعب النسائي المهلك والفاتن معا (شكل رقم ١٠) .



شكل رقم ١٠

رسم توضيحي مطبوع يمثل مشهدين متجاورين لحيوان مائي عثر عليه بنهر الكونغو وكان يعتقد أنه إحدى عرائس البحر - فرنسا - القرن الثامن عشر .

ومن بلاد الإغريق إلى مصر القديمة نجد الرعب النسائي مجسدا في صورة " سخمت " الإلهة الرهيبة ،التي ظهرت أول ما ظهرت في هيئة عقدة (أي جنية) طافية على سطح المياه ثم ما لبثت أن كبرت بسرعة لتصبح وحشاً رهيباً ، وتملكت الدنيا وأخضعت لإرادتها سائر الآلهة .

والجميع يخشون أن تصيبهم سهامها أو يضربهم المبعوثون الفائقة السرعة الذين يلازمونها " شمي سور " ، هؤلاء المدمرون الغامضون الذين لهم ألقاب عديدة فهم : " المبعوثون "

(أبوتيو)، " القتلة" و" الجلادون " ، " المتسكعون " ، " الثعابين" (شسرو) . . . وفى الواقع فإن الضرورة كانت تحتم من أجل درء الشر أن يقوم المرء ببعض التعاويذ والتضرعات من أجل تهدئة القوية " سحتب – سخمت " . . . وكانت هناك صيغ يستعين بها المتخصصون من أجل حماية ديارهم من أوبئة العام التي ينقلها هبوب مبعوثي " سخمت " أو من أجل صرف "القتلة الاثني عشر : المنبثقين من عين " رع " ، المرسلين عبر المناطق، ومرتكبي المجازر ومثيري القلاقل . . . ويمثل مبعوثو الربة الخطرة الكلمات السبع التي نطق بها الأرباب عند بداية الخلق بل وأيضاً السهام السبعة التي تقذف بها الربة الخطرة ضد الأعداء الكونيين وهم الدرجات السبع المصاحبة للشمس وبالتالي يعمل ذلك على عودتهم ثانية بشكل دوري . ووجودهم وجود كلي ولا يستطيع أي من مثيري القلاقل الهروب منهم

لشدة سرعتهم ولدقة تصويب السهام التي يقذفون بها أو يبصقونها من أفواههم .

وفي الهند نجد الإلهة الوثنية " كالي " التي يعنى اسمها "السوداء" ، وهى تجسيد رهيب لأحد تجليات الأم الكبرى .. وهى تجسد الموت والدمار ، ويقال أنها بزغت من جبهة "دورجا" [Dorga تشخيص آخر للإلهة الأم] حينما كانت الأخيرة غاضبة . تظهر " كالي " غالباً بعينين حمراوين وأربعة أذرع ولسان متدل بحثاً عن الدم . وهى عارية إلا من حزام من الرؤوس أو الأذرع البشرية ، عقد من الجماجم وإزار من جلد النمر ... يرى فيها عبادها أماً رحيمة قادرة على دحر الموت والشياطين . تحكى أسطورة أن شيطاناً كان على وشك تدمير العالم ، ففي كل مرة يجرح فيها يتخلق ألف شيطان من كل قطرة دم له . فطلب الآلهة إلى

" كالي " أن تحاربه ، وحينها تجرعت كل دماء الشياطين المتخلقين من الشيطان الأصلي ، وحينما لم يتبق سواه التهمته في قضمة واحد .

أما حضارات أمريكا الوسطى : " المايا " و" الأزتك " و"الإنكا " فنجد لديهم المرعبة

" كواتليكو " Quatlique أم الآلهة التي كانت من أسمائها أيضا " أم القمح" و"قلب الأرض" وكإلهة كونية نشأت عنها

مظاهر الوجود المختلفة نجدها تحت اسم " الأم القديمة " ... وكانت أيضا القمر والأرض وفى شكلها كإلهة للغرب كانت سيدة للموت وللعالم الأسفل لباطن الأرض المظلم الذي يصرخ دوما من أجل مزيد من الدماء وقلوب الضحايا ليستطيع الاستمرار في دفع الخيرات نحو ظاهر الأرض . لم تكن تكتفي بالجثث بل كانت تبتلع أيضا الشمس كلما مالت نحو الغروب والنجوم عندما تأفل ، يرافقها ويعينها حشد من أرواح الظلام الأنثوية التي تتوسط بين قوى الظلام والعالم القائم وتجمع في تركيبها بين جوهر الميلاد وجوهر الفناء . وفى منتصف النهار تصعد هذه الأرواح إلى خط الأفق وتجذب الشمس إلى مقرها عند الأفول . وفى اليوم الأخير عندما تدنو نهاية العالم تنتشر لالتهام الجنس البشرى . تصف الكتابات إلهة

" الأزتك " في طورها الأسود وقد أردت عباءة من جلود الأفاعي ، تقبض على خنجر من حجر الصوان المقدس وقد نبتت من أصابعها مخالب النمر وبرزت أسنان فكيها العلوي والسفلي نحو الخارج من فمها المفتوح .

أما حضارات بلاد الرافدين في العراق القديم فيبزغ الرعب النسوي فيها متقمصا شخص

" ليليث " Lilith، التي يعنى اسمها (إلهة العاصفة) أو (شيطانة الليل) والتي استمر تأثيرها لينتقل إلى اليهود بعد أن

سباهم " نبوخذ نصر " في " بابل " ؛ فطبقاً للأسطورة التلمودية قد تم خلق " ليليث " في نفس الوقت الذي خلق فيه "آدم" . وأنها رفضت أن تضطجع معه لظنها أنها تساويه منزلة ، ومن ثم فقد هربت إلى الصحراء حيث أقامت علاقات جنسية مع شياطين لتصبح بالتالي أماً لعدد كبير منهم ... وأنها تجوب العالم بحثاً عن الأطفال الغير محصنين بالتعاويذ الدينية لتقتلهم عقاباً على خطايا آبائهم ، حيث تقتلهم بأن تبتسم في وجوههم ... وقد تأصلت " ليليث " في الميثولوجيا السومرية كشيطانة للقفار حيث ترتبط في ذلك بالشيطانة البابلية " ليليتو " Lilitu التي تفتك بالرجال .

والآن ، هل تذكر " العزى " ؟ تلك الإلهة الوثنية التي كان العرب يتعبدون لها حول الكعبة كواحدة من أهم ثلاث إلهات إناث هن : " اللات " ، " العزى " و" مناة " ؟

كانت العزى أعظم الأصنام عند قريش ولكن دعني أقص عليك إحدى القصص ذات الدلالة الهامة والتي وردت في عدد من كتب السير والتواريخ العربية ؛ حيث يقال إنه كان هناك واد في منطقة " نخلة " الشامية يقال له وادي " حراض " عن يمين المصعد إلى العراق من مكة . وكانت قريش قد خصصت للعزى شعباً – أي منطقة – من واد " حراض " يقال له "سقام" يضاهون به حرم الكعبة . ويقال إنهم كانوا يتعبدون في هذا الوادي للعزى في صورة سمرة

(السمرة واحدة السمر وهو ضرب من شجر الطلح) . . فبعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إليها فهدم البيت وأحرق السمرة ؛ حيث يقال إنها خرجت على خالد بن الوليد في هيئة شيطانة أنثى عارية على غاية من البشاعة والقبح ، إلا أنه ضرب رأسها بالسيف ففلقها .

وقد استمر المزج العجيب بين فتنة المرأة وقدرتها على إثارة شهوة الجنس لدى الرجل بتكوينها البدني الخاص وبين كونها مصدرا للخطر والغواية والسحر المهلك ماثلا في أساطير ومعتقدات الشعوب لينحدر إلى معتقدات راسخة لدى الثقافات الشعبية المختلفة مختلطا في ذلك ببعض الشروحات والمذاهب الدينية المتزمتة التي كان أصحابها يدعون إلى الزهد التام في متع الدنيا وضرورة إرغام النفس على خوض المكاره وترك اللذات ؛ لذلك فقد رأوا في المرأة غريما قويا لهم ورأوا لها سلطانا لا يدانيه سلطان من حيث القدرة على توفير متعة الجسد ، فاستعانوا على حرب عدوهم اللدود ببقايا المعتقدات المنحدرة من الديانات القديمة والأساطير وأعادوا صياغتها لتتلائم مع طبيعة الأديان السماوية وكأنها من أوامر الله عز وجل أو من وصايا الرسل . ففي الغرب المسيحي أيام انتشار الرهبنة في العصور الوسطى كان يقال للنساء قول له وزن الشرع المقدس وقوته أنه أولى لهن أن يخجلن من أنفسهن أنهن نساء وأن يعشن في ندم متصل جزاء ما جلبن على الأرض من لعنات . . . وقد ذهب

البعض إلى أبعد من هذا فزعموا أن أجسامهن من عمل الشيطان ... وكان يقال أن الشيطان مولع بالظهور في شكل أنثى وأنه طالما زار النساك بهذه الصورة في كهوفهم الجبلية .

وفي عام ١٤٨٤ م ، أصدر البابا " إنوسنت الثامن Innocent vIII منشوراً عاماً باسم Summis Desiderantes واصفاً فيه مزاولة السحر بأوصاف قاطعة ، خاصة عند ظهور الشياطين في صورة نساء والرجال الذين ينخرطون معهن في فعل جنسي سرعان ما يعانون المرض والألم والضعف . وفي عام ١٤٨٦ م في كولونيا Cologne نشر " جاكوب سبرينجر " Jacob Sprenger كتابة الرهيب Malleus maleficarum(مطرقة الساحرات) كدليل لصائدي السحرة – النساء منهن خاصة – متضمناً القابلات وحتى الراهبات . . هذا الكتاب صدر منه على الأقل ستة عشر إصدارا في ألمانيا وحدها ، أحد عشر في فرنسا وستة في انجلترا كانت آخرها في عام ١٩٦٦ م .

وفي بعض التوجهات التي تتشح بالإسلام وتتخذ منه ذريعة للهجوم على كل شيء نجد شأنا مماثلا ، وإليك هذه الرواية : ثنا حسن بن صالح قال : سمعت أن الشيطان قال للمرأة أنت نصف جندي وأنت سهمي الذي أرمى به فلا أخطئ وأنت موضع سرى وأنت رسولي في حاجتي .

ويبدو أن القبائل البدائية نفسها قد انتبهت إلى هذا الربط بين

الجانب الجنسي للمرأة وبين جوانب الرعب والهلاك ؛ ففي بعض التماثيل الأنثوية الإفريقية نجد فرج المرأة وقد افتر عن أسنان قاطعة وهذا التمثيل كان معروفاً في حضارة الأزيتيك في أمريكا الوسطى .. وفى بعض أساطير الهنود الحمر لأمريكا الشمالية نجد أن سمكة مقدسة شرسة تسكن فرج الأم السوداء ولدى قبائل الهنود الحمر في نيوميكسيكو تقول الأسطورة أن أول نساء ظهرن إلى الوجود كن أربع نساء كل واحدة منهن على شكل فرج ذي أسنان قاطعة . له رأس وأطراف .

ويطابق هذا المفهوم لدى بعض القبائل البدائية مفهوم المرأة الساحرة / الملكوزي .

" الملكوزي " Mulukausi . هؤلاء نسوة أحياء يمكن معرفتهن والحديث إليهن في الحياة العادية ، لكن يفترض أنهن يملكن قوة تجعلهن غير منظورات أو يبعثن رسولاً من أجسامهن أو يطرن لمسافات بعيدة في الهواء . في صورتهن اللاجسدية هذه يكن ذات طبيعة قوية غامضة ، خبيثة جداً . أي شخص يتصادف ويتعرض لهن من المؤكد أن يهاجم .

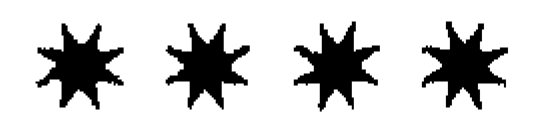
والآن ، ما هو رأي علم النفس في هذا الازدواج العجيب بين المرأة كموضوع جنسي وبين كونها مثارا للمعتقدات الدائرة حول موضوعات الرعب والهلاك الغيبي ؟ يبدو أن الإجابة ستأتي مرة أخرى من جانب العالم " يونج " الذي استوحى إحدى

الأفكار التي انتشرت خلال فترة العصور الوسطى ليصوغ عليها أساس نظريته عن التكوين البنائي للعقل الباطن للإنسان وهي التي أسماها بفرضية " الأنيما " X The Anima، والتي تعتبر توضيحا لأساس هذه الرؤية السوداوية للمرأة والتي يطلق عليها الفرنسيون Femme Fatale / المرأة المهلكة / الأنثى المميتة ؛ ففي العصور الوسطى – قبل أن يتبين علماء وظائف الأعضاء أنه بسبب بناءنا الغددي نحتوى على عناصر مذكرة ومؤنثة بداخل كل منا – قيل إنه : بداخل كل رجل امرأة يحملها في نفسه. هذا هو العنصر المؤنث في كل ذكر والذي أطلقت عليه اسم "الأنيما" هذا الجانب النسوي هو أساساً مركب أصغر من العلاقات بالوسط المحيط خاصة بالنساء والذي يبقى خفياً عن الآخرين حتى عن الشخص نفسه . والأنيما هي تشخيص لكل النوازع المؤنثة في البناء النفسي للشخص مثل المشاعر الغامضة، المشاعر التنبؤية ، الحدس ، حب النفس ، الشعور بالطبيعة وأخيراً وليس أخراً علاقته بالا شعور .. وكقاعدة فإن طبيعة الأنيما بكل شخص تتحدد عن طريق علاقته بأمه . فإن كانت سلباً جاءت الأنيما بصورة مشوشة ومشاعر إحباط وعدم أمان وعدم ثقة وحساسية مفرطة ... هذا النوع من المشاعر يسبب الجمود ، الخوف من الأمراض ومن الوهن ومن الحوادث وتنزع الحياة بكاملها نحو الحزن .. مثل هذه المشاعر السوداوية قد تدفع حتى للانتحار حيث تتحول الأنيما في هذه الحالة إلى

شيطان للموت . والفرنسيون يسمون مثل هذه الأنيما بالأنثى المهلكة .

هكذا كتب على المرأة أن تكون شريكا في صنع تراث الرعب باعتبارها واحدة من أهم الأفكار التي صيغت عليها عشرات الكائنات الظلامية . وهكذا كتب عليها أن تعاني لآلاف السنين من جراء كونها ضحية للشكوك والوساوس وسوء التقدير وعدم الفهم إلى درجة النظر إليها كشيطان رجيم وكعفريت مرعب مهلك يجب اتقاء شروره وتحاشي الوقوع في فخاخه .

وهكذا صارت (أمنا الغولة) في حين نجا الرجل من لقب (أبونا الغول) .



دراكولا

منذ أبدع الأديب الإنجليزي " برام ستوكر "Bram Stoker روايته المشهورة عن

" دراكولا " Dracula والعالم بأسره مفتون بالسحر الغامض الذي يكتنف عالم مصاصي الدماء وعلى رأسهم ذلك الكونت الرائع ذي الفتنة المغناطيسية التي لا تقاوم والذي يقطن قلعته المهجورة قاطعا وقته بين النوم نهارا في توابيت الموتى والنهوض ليلا للبحث عن فرائسه من البشر ليخفف بدمائهم من شراسة عطشه الذي لا يرتوي .

وشخصية " دراكولا " علامة من علامات دنيا الرعب ؛ خاصة تلك التي تم إبداع روائعها على الشاشة الفضية لتصبح الأفلام التي تدور حول هذه الشخصية من أنجح أفلام الرعب وأكثرها شهرة وضمانا للربح الوفير إلى درجة أن شركة " هامر " Hammer الإنجليزية قد تخصصت لفترة طويلة في إنتاج الأفلام التي تدور أحداثها حول شخصية " دراكولا " إلى أن أفلحت استوديوهات "هوليود" في سحب البساط مؤخرا وتقديم معالجات مختلفة تدور حول عالم مصاصي الدماء وأميره " دراكولا " .

ولكن ... ترى هل كان " برام ستوكر " يبدع من فراغ وهو

يصوغ أحداث روايته الشهيرة عن " دراكولا " ؟ أم أنه كان يتكئ على قدر من الصحة التاريخية ومن المعلومات المتعلقة بشخصية حقيقية ؟ وما هو الخط الفاصل بين الحقيقة والخيال في شخصية الرواية وتلك الشخصية التي من الممكن أن تكون قد عاشت على ظهر الأرض لتترك تراثا مرعبا يبرر أن يبدع " ستوكر " روايته الشهيرة تلك ؟

الحقيقة أن الموطن التاريخي لمصاص الدماء هو شرق أوربا وتحديداً في رومانيا . ومن هناك بمقاطعة "ترنسيلفانيا" Transylvania استلهم الأديب " برام ستوكر " روايته المشهورة عن " دراكولا " الذي تبدو صورته الحقيقية كما تركتها لنا إحدى اللوحات الزيتية التي رسمت له (شكل رقم ١١) .



شكل رقم ١١

تصوير زيتي يوضح ملامح دراكولا .

هناك كانت تعيش الشخصية التاريخية الحقيقية ؛ شخصية "فلاد تيبيس" Vlad Tepes (أي فلاد المخوزق) حاكم "والاشيا" Walachia (من ١٤٣١ إلى ١٤٧٧) والذي اشتهر باسم "فلاد الخامس" حيث كان يوقع أوراقه باسم "دراكولا" بمعنى ابن التنين أو ابن الشيطان . وكان والده يسمى "دراكول" Dracul لوجود رمز التنين على دروعه الحربية ، وكان "فلاد" ذا نزعة دموية محباً للقتل مسرفاً فيه . كما كان عبقرية حربية ، استطاع أن يصد الزحف التركي على بلاده فاعتبره مواطنوه بطلا رغم كافة مساوئه لدرجة أن أجراس الكنائس ظلت تدق على طول المسافة من رومانيا إلى جزيرة رودس . وفي إحدى نزواته الجنونية أمر بأن تتم خوزقة عشرين ألف من مواطنيه دفعة واحدة . كما وصل إلى أقصى ما يمكن من وحشية حين كان يقوم بدعوة ضيوفه لتناول الطعام في أحد الأودية الفسيحة وهم محاطين بمئات من الخوازيق التي يعذب عليها مئات الأبرياء ، فإذا تجرأ أحد الضيوف وأبدى ملحوظة حول نتن الرائحة المنبعثة من الجثث كان "فلاد" يأمر بخوزقته فورا على خازوق شديد الارتفاع حتى لا تصل لأنفه روائح العفن وحتى يقضي نحبه بدوره جزاء جرأته على انتقاد جنون الكونت !!

ولكن ... هل اقتصر تأثر "ستوكر" في روايته على مجرد شخصية تاريخية أوحت له بشخصية مصاص الدماء بسبب ميل "دراكولا" الحقيقي للإسراف في القتل بوسائل بشعة وارتباط

اسمه " دراكول " بمعنى الشيطان ؟ أم أن هناك أساسا علميا يمكن أن يفسر لنا مسألة مصاصي الدماء ؟

الحقيقة أن هناك نوعا من الخفافيش التي تتغذى على دماء الحيوانات – خاصة دماء الماشية – حيث تنطلق ليلا للهجوم على القطعان وتظل جاثمة على رقاب الأبقار طوال الليل محدثة فيها جراحا تقوم بلعق الدم منها . والغريب أن كل خفاش من نوع مصاص الدماء يعود كل مرة إلى نفس الحيوان الذي كان يمتص دماءه أول مرة معتمدا في ذلك على الإيقاع الخاص لصوت تنفسه والذي يكون قد حفظه عن ظهر قلب !! (شكل رقم ١٢) .



شكل رقم ١٢

رسم يوضح شكلا لأحد الخفافيش من نوع مصاص الدماء .

وهناك ملحوظة أخرى في غاية الأهمية تتمثل في ارتباط الخفاش بالجنس ، ففي أوروبا اعتقد الناس أن الشياطين والأشباح التي تضاجع النساء ليلاً تقوم بذلك متخذة صورة خفافيش ... كما اعتبر الخفاش عدواً للضوء ومن ثم عدواً لقوانين الكون الخيرة وصديقا لقوانين الظلام الشريرة .. واعتبرته التوارة ضمن الحيوانات النجسة . وفى العصور الوسطى ارتبط بكونه كائن مؤذى يمتص دماء الأطفال ليلاً ، كما تكرر تصوير الشيطان بأجنحة خفاش .

هذا الارتباط الرمزي بين الخفاش والشر وعالم الشيطان من جهة وارتباطه بالجنس من جهة أخرى – فضلا عن وجود نوع الخفافيش مصاصة الدماء – لابد وأن يكون قد ترك أثرا في إبداع " ستوكر " لشخصية " دراكولا " ؛ فلا ننسى أن من أهم سمات " دراكولا " الأدبي والسينمائي كونه شخصية جذابة ذات ملامح وصفات جسمانية تروق في أعين الحسان – برغم غموضه وبرغم كونه منفرا للرجال – كما أن قيامه بامتصاص الدماء من رقاب ضحاياه من النساء غالبا ما يتم عقب التقائه بهن جنسيا ، بل إن مشاعرهن أثناء امتصاصه لدمائهن كثيرا ما يختلط فيها الألم بالمتعة الجنسية . وعموما ترتبط الدماء أيضاً بعلاقة عميقة بالفعل الجنسي .. وقد وضح " فرويد " أن الوسواس القهري يرتبط دائماً برغبات جنسية .

كما يوجد مرض عضوي يعاني خلاله الإنسان من نقص حاد

في هيموجلوبين الدم ويتصف بميل عارم نحو تذوق الدماء ولعقها ، بل إنه كثيرا ما تتطور أحجام الأنياب العليا لهؤلاء الأشخاص لتصير أقرب إلى الصورة السينمائية التي يبدو عليها "دراكولا" .

وهناك أيضا تفسيرات متعددة لموضوع مصاصي الدماء ، تتمثل إحداها في حالات العودة من الموت (حيث كثيرا ما يحدث تشخيص بعض أنواع الإغماءات العميقة التي تتوقف خلالها العمليات الحيوية للجسم مؤقتا على أنها وفاة ، ثم يستيقظ الإنسان من الإغماءة ليجد نفسه في القبر فيصارع للخروج مما يصيبه بجروح دامية) ويقول أصحاب هذه النظرية أن مظهر الأشخاص الذين تعرضوا لهذه التجربة لا بد وأن يكون مريعا لأي شخص عابر في المقابر ليلا ؛ حيث سيشاهد أمامه جثة متعثرة في أكفانها وقد غطتها الدماء مما يدفعه إلى تصور أنها لوحش آدمي يقوم بامتصاص دماء الموتى ، كما يقول أصحاب نفس النظرية أن أشكال المتسولين الذين يسكنون المقابر ويجوبونها ليلاً بمظهرهم الرث وحركاتهم البطيئة بتأثير الجوع أو السكر أو كبر السن قد تلقي الهلع في قلوب المارين بالقرب من مناطق المقابر خاصة بالليل ، مما يؤدي إلى شحن الخيال بمؤثرات وصور تساهم في خلق هذه التصورات .

كما يوجد تفسير نفسي لموضوع مصاصي الدماء يتمثل في افتراض أن أسطورة مصاص الدماء هي عبارة عن شكل فني

للتعبير عن شكل من أشكال العلاقات الإنسانية التي يرتبط خلالها الإنسان بإنسان آخر يستهلك طاقته إما عن طريق التطفل عليه والعيش كعالة ثقيلة تعتمد كليا على جهوده أو عن طريق ممارسة أي شكل من أشكال الاستهلاك النفسي عليه كأن يعمل على توبيخه دائما أو يشعره دوما بالضآلة وعدم الجدوى أو يتسلط عليه .. الخ ، مما يؤدي إلى الشعور بالإحباط وفقدان لذة العيش وافتقاد الحيوية .

والشكل الأدبي والسينمائي لمصاصي الدماء يأتي دوما مصورا إياهم على هيئة جثث ، فلا هم بالأحياء ولا بالأموات ؛ حيث يخرجون من قبورهم ليلاً لامتصاص دماء ضحاياهم الأحياء الذين سرعان ما يتحولون بدورهم إلى مصاصي دماء .... ويقال أن الملح ، الثوم والصليب تطرد مصاصي الدماء إلا أن الطريقة الوحيدة لقتلهم تتمثل في غرس وتد خشبي بقلوبهم .. كما قد يستلزم الأمر قطع رؤوسهم وحرقهم أيضاً .

وإذا ما عدنا مرة أخرى إلى الرعب النسائي لدى الإغريق فسنجد أنهم قد اعتقدوا ومن بعدهم الرومان في وجود نوع من مصاصي الدماء الإناث باسم " اللاميا " Lamia التي تغوى الرجال لتمتص دمائهم وكانت تتمثل على هيئة فتاة رائعة الحسن حتى تنجح في اقتناصهم وحينها تعود إلى شكلها الحقيقي .. أفعى برأس امرأة .

الرجل الذئب

في الأساطير الإغريقية أن أحد ملوك " ليكايوس " ويعرف باسم " ليكاوون " Lycaeon وقد حاول قتل الإله " زيوس "كبير آلهة الأولمب ليثبت بطلان ألوهية الأخير . ولما فشل عمد إلى قتل أحد الأطفال من رهائن شعب " موسولوس " وقام بشيه والتهامه خلال مأدبة . وانتقاماً منه قام "زيوس بإحراق منزل "ليكاوون" وحوله إلى مسخ مغطى بالشعر الشائك وله ذراعاً ذئب إلا أنه أبقى له وجهه الآدمي وشعره الأشيب وبريق عينيه .

ومن القرن السادس عشر يطالعنا أحد الأعمال الفنية التي تصور أسطورة " ليكاوون " ، الملك الدموي الذي نافس الذئاب في ضراوتها . (شكل رقم ١٣) .

وبتأمل الأسطورة الإغريقية السابقة يتضح لنا أننا أمام أحد أقدم الجذور التاريخية لفكرة الرجل الذئب ؛ تلك الشخصية الغامضة التي درجت الأفلام السينمائية على تجسيدها بشكل شبه نمطي من خلال رجال معذبين تحت سطوة لعنة لا ترحم ، وبرغم كونهم عادة من دمثي الأخلاق والمسالمين في حياتهم العلنية إلا أنهم وبمجرد بزوغ البدر المكتمل يتحولون إلى هيئة ذئاب ضخمة شديدة الضراوة تفتك بكل من يوقعه حظه العاثر في طريقها حتى ولو كان أقرب الأقربين .

والمصطلح الغربي للرجل الذئب Were-wolf كلمة مشتقة من اللغة الألمانية القديمة من لفظة Wer بمعنى "الرجل" فيكون المعنى " الرجل في شكل الذئب " .

وفي المعتقدات الشعبية الأوربية يوجد ارتباط وثيق بين مصاص الدماء وبين الرجل الذئب ؛ حيث كان من المعتقد أن الرجل الذئب يتحول بمجرد وفاته إلى مصاص دماء ، لذلك فقد كان القرويون يتبعون طقوسا في غاية التعقيد في حالة اشتباههم في كون أحد



شكل رقم ١٣

أحد أعمال الطباعة الفنية يوضح شخصية " ليكاوون " – القرن السادس عشر .

الأفـراد رجـلا ذئبـا – وكـثـيـرا مـا ذهب الأبرياء ضـحـيـة لهـذه المعتقـدات – فكانوا يقتلونهم بأساليب خاصة مع الحرص على إقامة طقوس خاصة بطرد الأرواح .

وكثيرا ما كانت أسباب الاشتباه في أحد الأفراد باعتباره رجلا ذئبـا غـاية في السـخف والتـفـاهة ؛ فـأحـيـانا مـا كـانت عـلامـات جسـدية ككثافة الشعر على الجسد أو قوة الفك أو استطالة الأذن بعض الشيء كـافيـة للتـعـامل مع هؤلاء المـسـاكـين باعـتـبـارهم مصائب غيبية يجب التخلص منها .

ولكن ، ما هي علاقة القمر بتحول الإنسان – الرجل تحديدا – إلى ذئب ؟ يبدو أن الأساطير قد تنير لنا طريق الإجابة مرة أخرى ؛ حيث تقص علينا إحدى الأساطير الأيسلندية القديمة ما يلي : . . . كـان القـمـر " مـائي " هو شقـيق " سـول " الشـمس والاثنان أولاد " مـونديلفـارى " (ذاك الذي يدفع الزمن) . ويهـرع القـمـر والشـمس عبر السمـاء ولا يبطئا أبداً . . . وكل منهـمـا يسـارع في أعـقـابه ذئب مـخيف . وفى نهـاية الزمـان سـيلحق بهـمـا الذئبـان ويلتـهـمـانهـمـا .وستـختـفي النجوم ، وتـتساقط الجبـال وستـغـرق المحيطات والأرض وستفنى الآلهة والناس .

ولما كان من الملاحظ ارتباط القمر بالنشاط الجنسي إلى حد كبيـر – خاصـة في أوقـات اكـتمـال البـدر – لـذا يبـدو أن اشـتـراط اكـتـمـال القـمـر لـلتـحـول إلى هيئة الذئب يأتـي كـرمز للإشـارة إلى العـلاقة بين قـوة الذئب الجـنسيـة وبين مـيل الأسطورة إلى إسـقـاط

صفات الفحولة بأسلوب خرافي يفجر معاني الضراوة والوحشية الكامنة في نفس الإنسان ويظهر ارتباطها بمؤثرات الطبيعة في ذات الوقت – وهو ما يكثر حتى في أقوالنا السيارة حين نصف فلانا بأنه ذئب للدلالة على تعدد غزواته النسائية – فالقمر يأتي في كثير من الجمل والألفاظ الدالة على الارتباط بالنشاط الجنسي والخصوبة وهو ما يوضح معنى (شهر العسل) باللغة الإنجليزية : " هاني مون " Honey Moon ومعناه الحرفي (قمر العسل) كما يشار كثيرا إلى فترة الطمث لدى المرأة بكلمة "مون" Moon الإنجليزية بمعنى (قمر) ، هذا فضلا عن ارتباط اكتمال القمر دوما بزيادة حالات الهياج العصبي والنفسي ، مما يبرر الارتباط الشرطي بينه وبين تحول الرجل إلى ذئب في ليالي البدر ، الأمر الذي يفصح عن فهم العقلية الشعبية لهذه التداعيات خلال صياغتها لهذه الخرافة خاصة حين نتأمل الربط الذي سبق وأشرنا إليه بين الرجل الذئب ومصاص الدماء بما يستدعيه من دلالات جنسية .

وتبعاً للأساطير والاعتقاد الشعبي فالرجل الذئب هو كيان رمزي ينتج عن تحول الإنسان لذئب بارتدائه لحزام أو سترة من فراء الذئب ويفترض أنه يكتسب بذلك قوة الذئب ورغبته في القتل .

والذئاب البشرية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالسحر الأسود حيث يتحول الإنسان إلى ذئب خلال طقوس سحرية .

والغريب أن بعض ممارسات السحر الأسود في أوربا وأمريكا الشمالية ما زالت تتضمن وصفات وتعاويذ لأغراض تحول البشر إلى ذئاب آدمية . وطبقا لهذه التعاويذ فإن الساحر حين يؤديها بمنتهى الدقة ويراعي كافة الخطوات والشروط فإنه يكتسب طبقا لذلك القدرة على التحول يوميا إلى ذئب خلال الغروب ثم يعود إلى هيئته البشرية مرة أخرى أثناء الفجر .

وتتضح إحدى مراحل الطقس السابق ذكره من خلال صورة فوتوغرافية لساحر إنجليزي يمارس طقس التحول إلى ذئب مرتديا فراء كامل لذئب حقيقي (شكل رقم ١٤) .



شكل رقم ١٤- طقس المذؤب يقوم بتأديته ساحر إنجليزي - نقلا عن :
Daniel Farson & Angus Hall -Great Mysteries -Mayflower Books -New York .

ويبدو أن هناك ذوقا عاما يميل نحو استساغة خرافة الرجل الذئب في الغرب أكثر مما هو عليه الحال في الشرق ؛ حيث نجد – فضلا عن الأفلام والقصص – عددا كبيرا من الحكايات والاعتقادات الشعبية التي تدور حوله في كافة أنحاء أوربا وأمريكا؛ فتنص القصص الشعبية البلجيكية على وجود كلب أسود شيطاني يدعى " كلود " Kludde يجوس بالغابات منتظراً ضحاياه من المارة .

وبعض المعتقدات الشعبية أيضاً تتضمن قصصاً عن جنى في صورة كلب أسود يدعى

" بولافوكا " Poulaphuca يقطن مناطق من " أيرلندا " ويتسم بأكتاف عالية وعيون بشرية . ويرى بعض الباحثين أن أمثال هذه المعتقدات قد نشأت من وجود أنواع حقيقية من الكلاب والذئاب المتوحشة بغابات " أيرلندا " .

وفي عام ١٧٦٥ نظمت حملة صيد واسعة النطاق في أنحاء منطقة " جيفودا " الفرنسية Gvaudan لصيد أحد الذئاب البشرية بعد أن روعت المنطقة لشهور عديدة إثر قتل أكثر من مئة فرد بتأثير هجوم واضح لذئب شرس ، وبعد فترة اتضح أن المسئول عن هذه الميتات البشعة مجرد ذئب ضخم ، إلا أن الشائعات ظلت لفترة طويلة تدور حول كونه مذؤبا بشريا ونسجت حوله حكايات خيالية تتحدث عن قدراته الشيطانية الخارقة .

أما عام ١٦٨٥ فقد شهد القبض على أحد الأفراد في بلدة "إيشنباخ" Eschenbach الألمانية وتم شنقه بتهمة قتله لطفلين من أطفال القرية أثناء تحوله إلى ذئب بشري .

إلا أن أبشع انتقام تم تسجيله على الإطلاق من متهم بالتحول الذئبي قد تم قبل ذلك بمئة عام ، ففي " كولونيا " Cologne الألمانية وفي عام ٩٨٥١ تحديدا تم القبض على المدعو " بيتر ستوب " Peter Stubb إثر اتهامه بممارسة السحر الأسود والتعامل مع الشيطان الذي قام في المقابل – طبقا لمحاضر جلسات المحاكمة – بإعطاء " ستوب " حزاما سحريا يتحول بمجرد ارتدائه إلى ذئب . ورغم عدم العثور على أية أحزمة بمنزل الرجل إلا أن الحكم كان قد صدر بالإعدام بواسطة طقوس التطهير كالآتي : تم ربط " بيتر ستوب " إلى عجلة التعذيب وتم غرس عشرة مسامير محماة في النار إلى درجة الاحمرار في مواضع متفرقة من جسده ، ومن هذه المواضع العشرة تم انتزاع اللحم من العظام . ثم تم كسر ساقيه وذراعيه بواسطة مطرقة خشبية . وبعد فترة قطعت رأسه وحرقت جثته !!

هكذا كان يتم التخلص من الرجل الذئب قبل قرون من اختراع الطريقة السينمائية الرحيمة جدا والتي يتم خلالها إطلاق رصاصة فضية على قلب المذؤب البشري .

التنين

تطالعنا الأفلام السينمائية دوما بصورة نمطية ثابتة لحيوان خرافي ، هو عبارة عن مزيج من الثعبان والتمساح وبعض أعضاء الديناصورات ، بالإضافة إلى جناحين جلديين هائلين يطابقان أجنحة الخفافيش ، كما أنه دائما ما ينفث اللهب من فمه مطلقا صرخات وحشية وهو يهاجم أبطال الفيلم !! . . . إنه التنين .

وغالبا ما يأتي التنين باعتباره ممثلا للشر في هذه الأفلام ، ما عدا عدد قليل من الأعمال السينمائية ذات الطابع الفكاهي أو الموجهة للأطفال ؛ فيمكن حينها أن يأتي كمخلوق مسالم أو حتى كمخلوق ذي صفات باعثة على الضحك .

والآن ، هل التنين اختراع سينمائي بحت ؟ أم ترى أن له أصلا في التراث الحضاري العالمي مثلما كان الحال مع سابقيه الشهيرين سينمائيا : " دراكولا " و" الرجل الذئب " ؟

وهل يمكن أن يكون هذا التراث الحضاري قد اعتمد على حقيقة طبيعية لمخلوق عاش قديما ثم انقرض مثلما انقرضت عشرات غيره من الحيوانات ؟

سأعود بك إلى أغوار الماضي لنفتش معا في بطون الأساطير الفينيقية ؛ تلك الحضارة البحرية التي ازدهرت على سواحل

الشام القديمة منذ آلاف السنين ، لنجد أنفسنا أمام وحش مخيف يسمى " لوتان " ، وهو اسم يعني "الملتوي على نفسه". انتقل بعد ذلك ليتجسد في الأساطير الكنعانية في شخصية لها نفس الاسم : " لوتان " الوحش ذي السبعة رؤوس الذي قتلته الإلهة " عناة " Anat، كما انتقل إلى شخصية شرسة تمثل قوى المحيط المائي المظلم المضطرب لعبت دورا هاما في أساطير بلاد الرافدين تحت اسم " تيامات " Tiamat؛ حيث انتصر عليها الإله " مردوك " لينهي عهد واحدة من الإلهات الوثنيات المرعبات اللاتي سبق وأن تناولناهن بالحديث في فصل الرعب النسائي .

وينتقل " لوتان " من الأساطير الفينيقية والكنعانية ليستقر في العهد القديم لدى اليهود باسم " لوياتان " Leviathan وليظهر على هيئة تنين الظلام الذي يصرعه الإله " يهوة " Yahweh– الاسم الدال على الرب لدى اليهود – ويصنع من فكيه بوابتي الجحيم .

[وقد ورد وصف " لوياتان " في العهد القديم] على النحو الآتي : (.. أتصطاد لوياتان أو تضغط لسانه بحبل . أتضع أسله في خطمه أم تثقب فكه بخزامة أو يكثر التضرعات إليك أم يتكلم معك باللين . هل يقطع معك عهداً فتتخذه عبداً مؤبداً . أتلعب معه كالعصفور أو تربطه لأجل فتياتك . هل تحفر جماعة الصيادين لأجله حفرة أو يقسمونه بين الكنعانيين . لا تملأ

جلده حراباً ورأسه بإلال السمك . ضع يدك عليه . لا تعد تذكر القتال . هو ذا الرجاء به كاذب . ألا يكب أيضاً برؤيته . ليس من شجاع يوقظه فمن يقف إذاً بوجهي . من تقدم منى فأوفيه . ما تحت كل السموات هو لي . لا أسكت عن أعضائه وحبر قوته وبهجة عدته . من يكشف وجه لبسه ومن يدنو من مثنى لجمته . من يفتح مصراعي فمه . دائرة أسنانه مرعبة فخذه مجان مانعة محكمة مضغوطة بخاتم . الواحد يمس الآخر فالريح لا يدخل بينها . كل منها ملتصق بصاحبه متلكدة لا تنفصل . عطاسه يبعث نوراً وعيناه كهدب الصبح . من فيه تخرج مصابيح . شرار نار تتطاير منه من منخريه يخرج دخان كأنه من قدر منفوخ أو من مرجل . نفسه يشعل جمراً ولهيب يخرج من فيه . في عنقه تبيت القوة وأمامه يدوس الهول . مطاوي لحمة متلاصقة مسبوكة عليه لا تتحرك . قلبه صلب كالحجر وقاس كالرحى . عند نهوضه تفزع الأقوياء . من المخاوف يتيهون . سيف الذي يلحقه لا يقوم ولا رمح ولا مزراق ولا درع . يحسب الحديد كالتبن والنحاس كالعود النخر . لا يستفزه نبل القوس . حجارة المقلاع ترجع عنه كالقش . يحسب المقمعة كقش ويضحك على اهتزاز الرمح . تحته قطع خزف حادة . يمدد نورجاً على الطين . يجعل العمق يغلي كالقدر ويجعل البحر كقدر عطارة . يضيء السبيل وراءه فيحسب اللجج أشيب . ليس له في الأرض نظير . صنع لعدم الخوف . يشرف على كل متعال . هو ملك على كل بني الكبرياء) . أيوب ٤١ / ١ : ٣٤ .

ونجد في موضع آخر من التوراة نص صريح يدل على حدوث صراع بين الإله وبين تنانين البحر وعلى رأسهم " لوياتان " : (أنت شققت البحر بقوتك . كسرت رؤوس التنانين على المياه . أنت رضضت رأس لوياثان . جعلته طعاماً للشعب لأهل البرية) .

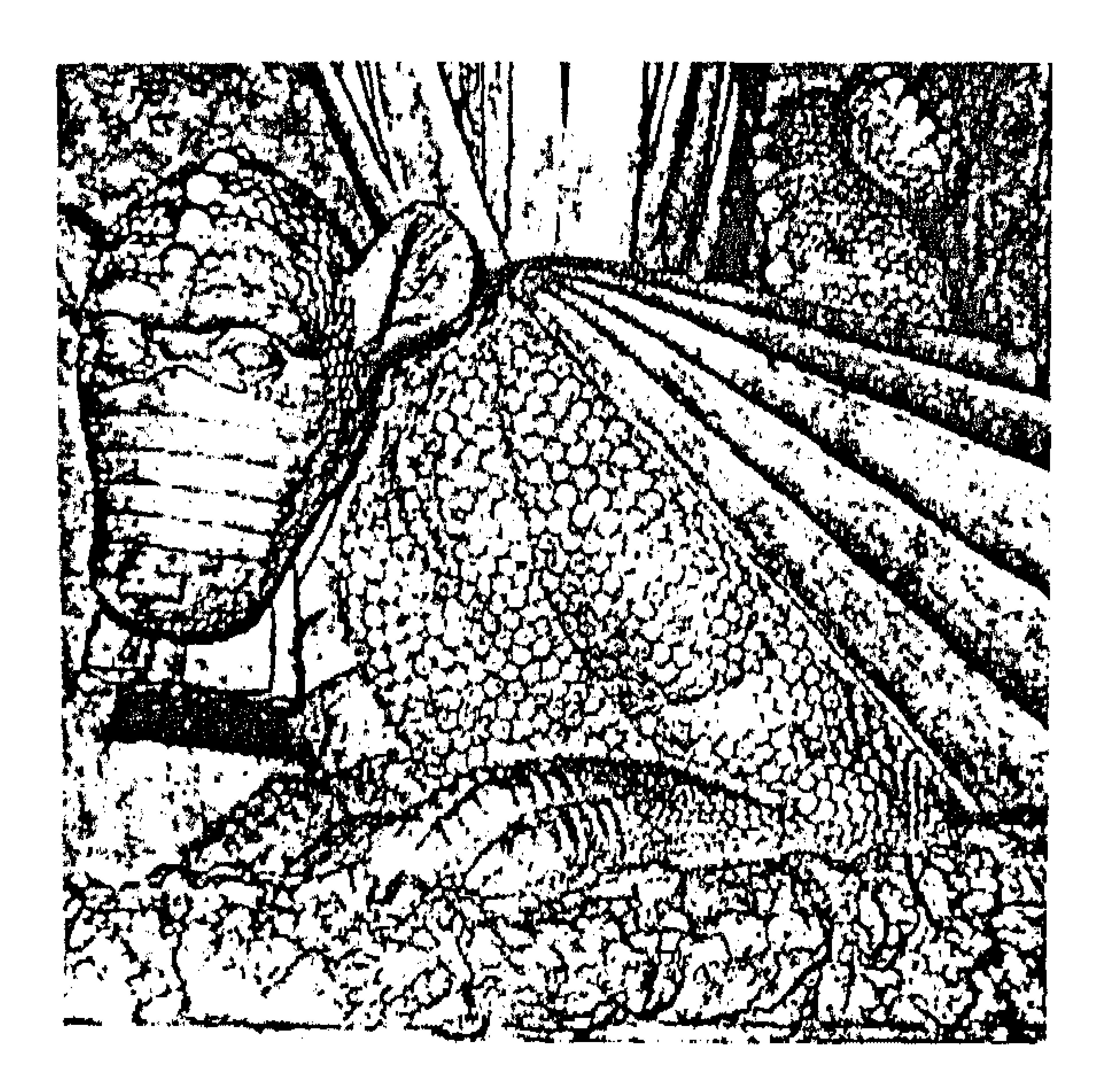
مزامير ٧٤ / ١٣ : ١٥ .

ومن التوراة اليهودية إلى العهد الجديد المسيحي ؛ حيث يتحول التنين إلى أحد الأشكال التي عادة ما يتخذها الشيطان للظهور ومحاولة الفتك بالمؤمنين وصراع الأبطال من القديسين المسيحيين الذين سرعان ما يفتكون به متسلحين بالإيمان . وربما يكون أشهرهم قاطبة هو القديس " جورج " St. George المعروف لدى أقباط مصر باسم " مارجرجس " والذي تعتبر اللوحات التي تصوره وهو يطعن التنين برمحه من فوق صهوة جواده من أشهر وأحب الصور الدينية لدى المسيحيين .

ولم يتوقف الأمر عند حد صراع التنين مع قديسي المسيحية، وإنما تنص كثير من نصوص المسيحية على أن الشيطان حينما طرد من السماء إلى الأرض في بدء الخليقة كان على هيئة التنين؛ حيث كان يحاول أن يتشبث بمركزه السماوي فأراد أن يحارب ملائكة الرب على هذه الصورة المرعبة ، إلا أنهم تغلبوا عليه وعلى جيشه من الشياطين وطردوه بقيادة الملاك " ميكائيل " .

ومع توغل الديانة المسيحية في أوربا تأتينا قصة معجزة من

معجزات القديسة " مارتا " Martha الفرنسية ؛ حيث تحكي القصة عن مخلوق مرعب يسمى " تاراسك " Tarasque كان يعيش على ضفاف نهر " الرون " Rohne وينشر الرعب في أرجاء المنطقة إلى أن تغلبت عليه القديسة " مارتا " لتعيد الأمن إلى أهل هذه البقعة الذين خلدوا قصتها من خلال نحت ما زال موجودا على واجهة كاتدرائية " آكسين بروفينس " -Aix-en Provence(شكل رقم ١٥) والذي نجد من خلاله شبه تطابق مع شكل التنين مع بعض الاختلافات الطفيفة .



شكل رقم ١٥

نحت بارز على واجهة كاتدرائية فرنسية يوضح شكل مخلوق " تاراسك " .

ويكاد الأمر يختلف تماما لدى الصينيين في رؤيتهم للتنين ؛ فبرغم أن الأساطير الصينية تنص على أن بداية وجوده كانت ضمن كائنات العالم الأسفل إلا أننا نجده وقد مر بملابسات كثير تؤدي في النهاية إلى ارتقائه ودخوله ضمن الكائنات السماوية الخيرة التي تمثل قوى الخصوبة والربيع والثروة والحماية .

إلا أن الأساطير الشمالية لدى " النورديين " و"الجيرمانيين" القدماء تعيدنا مرة أخرى إلى شراسة التنين وميله إلى الشر ؛ وذلك حين نجد لديهم عددا من الأساطير التي تشترك في خط أساسي يتمثل في أن التنين في بدايته كان رجلا عاديا ، إلا أنه تحول إلى شكل التنين ليحرس كنزا ثمينا حصل عليه عن طريق قيامه بقتل أبيه . وفي النهاية يلقى التنين مصرعه على يد بطل شاب يحمل سيفا سحريا .

والغريب أنه برغم بعد المسافة الهائلة بين بلاد "النورد" و"الجرمان " – المنطقة التي تشمل ألمانيا الحالية بالإضافة إلى الدنمارك والنرويج ومعظم دول الشمال الأوربي – وبين بلاد فارس إلا أننا نجد بالأساطير الإيرانية القديمة شبه تطابق بين محتوى الأساطير الشمالية وبين الأساطير الفارسية التي تحكي عن التنين البشري " أزيدهاكة " الذي عرفه العرب باسم " الضحاك " .

والمفترض طبقا للأسطورة الإيرانية أن " الضحاك " كان ابنا لملك عربي يدعى " مرداس " وأن الشيطان قد أغراه بقتل أبيه

ليستولي على الملك من بعده ويحكم إيران لمدة ألف سنة يعذب الناس خلالها ويقتل منهم كل يوم رجلين يطعم بدماغهما حيتين نابتتين في كتفيه . ثم يخوض صراعا مع أحد أبطال إيران يسمى " أفريدون " ، فيتمكن " أفريدون " من تقييده بالسلاسل على أحد الجبال .

ومن المفترض أيضا بالنسبة للأسطورة أن يتم إطلاق سراح "أزيدهاكة" وهو على هيئة تنين خرافي ؛ حيث يطلقه إله الشر "أهريمان" ليشترك معه في المعركة ضد إله الخير " أهورامزدا " في آخر الزمان ، فيقوم " أزيدهاكة " بابتلاع ثلث الكائنات الحية ويدنس الماء والنار والنبات . إلا أن قوى الخير ترسل بالبطل "كرشاسب" الذي يضرب التنين على رأسه فيقتله ويزول الشر والإثم ويبدأ عهد السعادة الدائمة .

والغريب أنه بعد انتشار الإسلام في منطقة بلاد إيران تذوب الأساطير الفارسية القديمة وتختلط بحكايات قديسي المسيحية لتنتجا خليطا أدبيا ينسجه الشعراء ورواة السير من خلال ملحمة تدور حول صراع بين بطل وتنين ، إلا أنه بطل مسلم يعيد تجسيد انتصار قوى الخير على قوى الشر من منظور إسلامي ؛ حيث تناول الشعراء الإيرانيين شخصية من أحب الشخصيات الإسلامية وأكثرها احتراما لدى المسلمين وهي شخصية "حمزة" عم الرسول صلى الله عليه وسلم ليصوغوا حولها ملحمة خيالية لم تحدث في الحقيقة هي ملحمة " حمزة نامة " أي (سيرة

حـمـزة) التي تصـوره كـبطـل ينشـر الإسـلام في سـيـلان ومـصـر والقوقاز وبيزنطة ، كما تصوره متزوجا من إحدى الجنيات وهازما للعـديد من الأبطال والمخلوقـات الأسطورية وعلى رأسهـم تنين الشر . (شكل رقم ١٦) .



شكل رقم ١٦ - إحدى منمنمات مخطوطة " حمزة نامة " تصوره وهو يصرع التنين - القرن السادس عشر الميلادي - محفوظة بمتحف بودليان - أوكسفورد .

إلا أن الأغـرب من كل ذلـك أن نجـد تداخـلا بيـن فكـرة صـراع البطل والتنين على الصورة التي اعتـادت اللوحـات المـسيحـية أن تظهـر بـهـا القـديس "جـورج" والتنين وبين أحـد أشـهـر أبـطال الأساطير المصرية القديمة . . . "حورس" !! ؛ وذلك حين يطالعنا أحد أعـمال النحت البارز على الحجر - محفـوظ حاليا بمتـحف

اللوفر – مصورا البطل " حورس " الشاب في ثياب قتال رومانية – حيث إن العمل يعود لفترة الاحتلال الروماني لمصر – وهو يمتطي فرسا ويطعن إله الشر " ست " قاتل أبيه الذي يتجسد تحت أرجل الفرس على هيئة تمساح شرس (شكل رقم ١٧) .



شكل رقم ١٧ – نقش بارز على الحجر يصور "حورس" يصرع "ست" المتمثل في شكل تمساح – القرن الرابع الميلادي – محفوظ بمتحف اللوفر .

ومن الأساطير إلى تفسيرات علماء النفس ، نجد أن عددا من العلماء يرون في أساطير التنين تعبيرا عن إحساس الإنسان بالجانب المظلم من نفسه ، ذلك الجانب الذي يحوي كافة مشاعر وغرائز الشر والقسوة والتدمير – والذي يطلق عليه "فرويد" طبقا لنظريته عن اللاشعور مصطلح " الهو " Id– وأن تماثل الحكايات حول انتصار البطل على التنين عبر صراع مرير إنما يرمز إلى الصراع المستمر المعتمل في نفس الإنسان بين صفاته الخيرة وغرائزه الشريرة وإلى طموحه لانتصار الخير على الشر في نفسه .

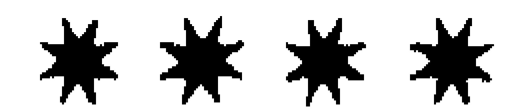
إلا أنه من الواضح أن الأسطورة لا تخلو من بعض الحقائق العلمية ، على الأقل في الجانب المتعلق بصياغة الشكل الشهير للتنين ؛ حيث نجد ضمن أحد الكتب المبكرة التي تناولت اكتشاف أمريكا على يد " كريستوفر كولمبس " حديثا عن عثور البعثة الاستكشافية على عدد كبير من الزواحف القريبة الشبه إلى حد بعيد من التنين ؛ حيث تأتي على هيئة زواحف مجنحة ذات حراشف بارزة على جلودها . وللأسف أنها سرعان ما انقرضت بفعل الصيد المنظم على يد الفاتحين الأوائل للقارة الأمريكية ولم يهتم أحد في هذا العهد بحفظ إحدى جثثها للدراسة أو للتسجيل التاريخي ، فلم يتبق منها سوى ذكراها الواردة ضمن الكتاب المذكور .

إلا أنه يمكن تأمل أحد أسلاف الزواحف المنقرضة ضمن ما

انقرض من ديناصورات غابرة والذي يمكن أن نجد فيه أصلا لفكرة التنين ؛ ذلك هو الديناصور المعروف باسم

"البتروداكتيل" Pterodactyl والذي تظهر حفرياته على هيئة رأس بمنقار طائر وجسد أقرب إلى الزواحف بجناحين جلديين .

ويبدو أن الخيال الإنساني الخصب وهو يصوغ أساطير التنين قد استعان بالذكريات السحيقة التي تناثرت من أصداء الماضي حول هذا المخلوق وأشباهه من كائنات سبق وأن ألقى مظهرها الغريب الرعب في نفس الإنسان الأول ، فاحتفظ بها كمرادف للشر والتدمير والظلام .... والرعب .



مسوخ ومتوحشون

برغم تعدد المسميات والمظاهر والوظائف التي تنسب إلى أنواع كائنات الرعب إلا أن السمة المهيمنة على المظهر الشكلي لهذه الكائنات هو ظهورها في صورة مسوخ مرعبة .

ولكي نفهم تحديدا ما هو معنى " المسخ " علينا أن نعود إلى تفسيرات كتب اللغة ، حيث نجد أن المسخ يتعلق عادة بتشويه في الشكل الآدمي للإنسان يتحول بمقتضاه إلى درجة أدنى في سلم الكائنات ؛ فيرى أصحاب التناسخ أن " النسخ " هو نقل الروح إلى جسم أرفع و" المسخ " هو نقل الروح إلى ذوات الأربع و" الفسخ " هو ثقل الروح إلى الحشرات و" الرسخ " هو نقل الروح إلى النبات والجماد .

كما نجد مفهوما قريبا جدا من ذلك في المصطلح الأجنبي Hybrid والذي يعني حرفيا : مختلط الأبوين أو كائن هجين Hy-brid Creatures : وهو مصطلح دال على كائنات غير موجودة حقيقة (تقريباً جميعها ذات أصل حيواني أو بشرى والقليل جداً من أصل نباتي) وهى مزيج من كائنات أو أشياء مختلفة في أشكال متعددة ومن اللازم أن تبدو في هيئة مفزعة . والعديد من هذه الكائنات تعود أصولها حضارات النهرين ووادي النيل ووادي نهر الهندوس . وبمرور الزمن تعددت الأشكال والهيئات

المختلطة بشكل يصعب إحصاءه ويرى البعض أن بالإمكان تصنيف هذه الأمساخ في أربع مجموعات تحصر أربعة أنواع من المسوخ ، غير أن الأفراد المحصورة تحت كل نوع ليست بالضرورة ثابتة ، بل يمكن بشكل ما أن يعزى كل منها للنوع الآخر ويلحق به .

وهكذا يتضح من خلال ما سبق أن المصطلحات اللغوية الدالة على فكرة المسوخ – سواء في الشرق أو الغرب – تؤيد ما سبق وأن افترضناه معا في بداية الكتاب بخصوص صفة

(التعقيد) المميزة لكائنات الرعب ؛ فلا شك أن المسوخ باختلاط أعضائها المنتمية إلى كائنات شتى هي نموذج مثالي جدا لفكرة التعقيد . كما تؤيد أيضا فكرة (الغموض) التي سبق وأن ناقشتها معك أيضا ؛ فمن الواضح أن تداخل واختلاط الأعضاء الشكلية للمسخ سوف يقود الذهن تلقائيا للتساؤل حول كنه السبب الذي أدى إلى خلق مثل هذا المسخ الذي لم يسبق وأن صادفه الإنسان في حياته الواقعية ولا حتى بين طوائف الحيوان الغريبة أو النادرة .

وإذا ما تأملنا ما سبق ومر بنا خلال أجزاء الكتاب من كائنات الرعب فسنجد أن طائفة كبيرة منها – إن لم يكن كلها – تشترك مع مفهوم المسخ في كونها مشتملة على ذلك الجانب البشري – أو شبه البشري إذا أردنا الدقة – والمتمثل في وجود بعض السمات الإنسانية الشكلية ، كالوجه أو أعضاء الجسد

المختلفة، وهناك أيضا ذلك الوعي البشري والذكاء الذي يتصف به كثير منها والذي قد يفوق دهاء البشر أحيانا في كثير من الأساطير . فكأن الذهن البشري خلال تاريخ الحضارات كان يعي بشكل ما وهو يقوم بإبداع مثل هذه المخلوقات أنه بصدد خلق رموز معبرة عن أقصى ما تشتمل عليه نفوس البشر من رغبات محرمة وهفوات شاذة ونوازع مريضة ، برغم أنها موغلة في اتباع الشر إلى درجة التطرف إلا أنها نابعة من ذاته هو ، الذات البشرية، مما حتم عليه الإبقاء على ما يشير إلى انتمائها للعنصر الإنساني في صورة أعضاء منتزعة منه .

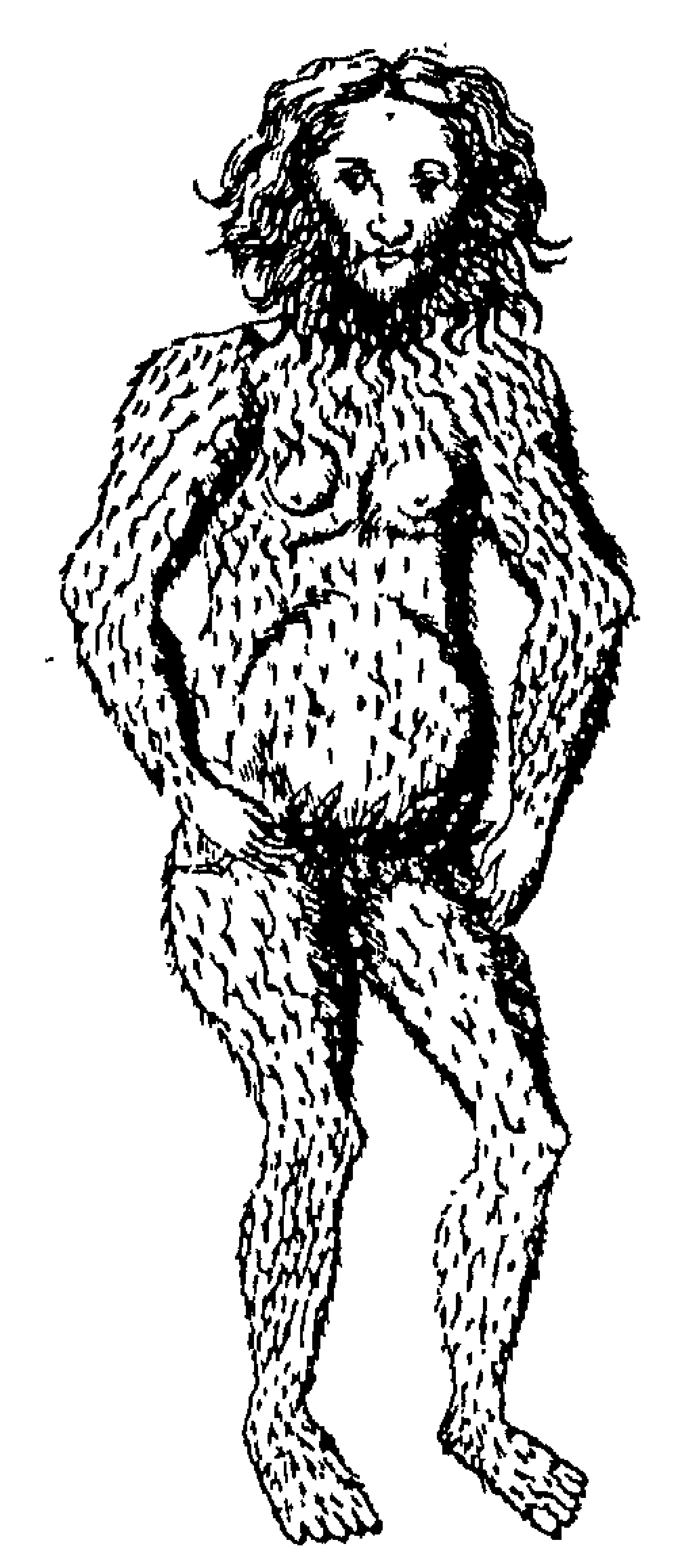
وفي هذا الإطار تأتي فكرة تكاد تكون قد غازلت أذهان مبدعي أساطير الرعب في كافة أنحاء العالم تقريبا ؛ هي فكرة تناول الإنسان ذاته ككائن مرعب ..... هكذا دون أية إضافات أو تعقيدات شكلية غريبة ..... الإنسان بنوازعه الفطرية المكشوفة والمعلنة ، حينما لا يقف في سبيل تحقيقه إياها وازع من ضمير أو من خجل أو من مراعاة لحرمات دينية أو أعراف اجتماعية .

ومما ساعد على انتشار هذه الفكرة ونجاحها كونها تجد مصداقا لها في عدد كبير من تجارب الحياة ومشاهدات الإنسان؛ فلن أتكلم معك عما عرفه البشر ونعرفه جميعا من بقايا المجتمعات البربرية التي ما زالت عصية على الانخراط في إطار الحضارة ، والتي تشيع فيها أنماط عدة من ممارسات الإباحة

الجنسية أو السلوك الدموي أو الاستهتار بقيم التحضر والضرب بقواعد النظافة والجمال عرض الحائط ... لا ، لن أناقش ذلك وإنما سأدعوك إلى أن تتأمل جيدا فيما يحيط بك من سلوكيات بشرية لكثير ممن يدعون التحضر ويراعون في العلن ظواهر الأعراف والتقاليد – بل إن منهم من يحرص على الظهور بمظهر المتشبث بالطقوس الدينية – في الوقت الذي ما إن تتاح لأي منهم فرصة التصرف بمحض إرادته الحرة دون خشية من عقاب أو رقابة حتى تجد عجبا من السلوكيات المريضة وانفلات الشهوات.

وربما يكون هذا الإدراك هو ما جعل من مهرجانات "الرجل المتوحش" عيدا شعبيا رائجا بألمانيا وتحديدا في مدينة "نورمبرج" .Nuremberg في الفترة بين عامي ١٤٩٩ ، ١٥٣٩ ؛ حيث كانت تتم مظاهر الاحتفال عن طريق ارتداء عدد من الأفراد لسترات من الفراء الأشعث وأوراق الشجر تجعلهم أشبه ما يمكن برجال عراة مشعرو الأجساد ، كتصور سائد في أذهان الغربيين عن الشكل الذي ينبغي أن يبدو عليه الهمج المتوحشون . وقد اضطرت قوات الأمن للتدخل بإصدار قرار يمنع تنظيم هذا المهرجان بعد التاريخ المذكور وذكرت في حيثيات القرار أن أضرارا كثيرة تقع للعامة من قبل هؤلاء المتوحشين المزيفين ؛ حيث كثيرا ما كان يحدث أن يعتدوا بالضرب والسلب على المارة ، بل وأحيانا التمادي إلى درجة إحداث جروح وكسور .

ويبدوا أن فكرة الأوربيين عن الرجل المتوحش ذي الشعر الكثيف قد تأثرت بوصف " ماركو بولو " للمتوحشين الذين زعم أنه قد التقى بهم خلال رحلته لآسيا – خاصة في الصين والهند – ومما زاد في مصداقية " بولو " ذلك الاكتشاف الذي وقع خلال القرن السابع عشر الميلادي ؛ وذلك جين عثر بعض الرحالة الأوربيين في جزيرة " جاوة " على شخص بري هائم على وجهه في الغابات دون أن يعي أي فكرة عن أصله أو أن يتمكن من التخاطب اللغوي أساسا (شكل رقم ١٨) ، مما يدفعني للاعتقاد أن أمثال هذه الاكتشافات كانت بمثابة جذور لقصة " طرزان " رجل الغابة التي طورت من الفكرة بعد أن أضافت إليها محورا استعماريا هاما يتمثل في فكرة تفوق الرجل الأوربي الأبيض على الجنس الأفريقي تفوقا يتيح له أن يسودهم جميعا حتى وهو خال الوفاض من أية ذخيرة حضارية !!



شكل رقم ١٨

رسم توضيحي للإنسان البري المكتشف في " جاوة " في القرن السابع عشر .

وكما كان الحال بالنسبة لكل من مصاص الدماء والرجل الذئب ارتبط " الرجل المتوحش " في الفكر الغربي بالذات بفكرة القوة الجنسية الغاشمة لدى الذكور واقترانها دوما بالهلع والرعب؛ حيث كان يعتقد دائما أن الرجال المتوحشين يمتلكون قدرة جنسية فائقة وأنهم دائمي الهياج وأن شبقهم لا يرتوي ، فضلا عن أنهم لا يمارسون الجنس مع النساء البشريات المتحضرات إلا بعد أن يقوموا بترويعهن وإدخال الرعب على نفوسهن .

ويبدو أن هناك جذورا قديمة لفكرة الرجل المتوحش قد تناثرت أصداؤها في التوراة اليهودية ؛ حيث نجد في " سفر أشعياء " نبوءة عن خراب " فلسطين " حين يرقص في أطلالها "الشعريم" ، وهو لفظ – كما يبدو من ظاهره – يدل على نوع من الكائنات الغامضة المخيفة ذات الشعر الكثيف والتي يرتبط وجودها بالخرائب والأطلال ، بل إنها ربما تكون من آكلات الجيف ولحوم الموتى بدليل رقصها طربا لخراب المدينة .

كما تنتقم التوراة من شخصية الملك البابلي " نبوخذ نصر " الذي قام بغزو " أورشليم " وتدمير معبدها وسبي اليهود إلى " بابل " وذلك حينما ينص سفر " دانيال " على أن الملك البابلي تضربه لعنة إلهية انتقاما منه لسبيه اليهود ؛ حيث يذهب عقله ويهيم على وجهه في براري العراق وهو يسير على أربع وقد استطال شعر جسده وعاش عيشة البهائم ، ثم يعفو عنه الرب بعد توبته ويعيده إلى سابق عهده .

وهكذا ، ارتبط الشعر الغزير الذي يكسو كامل الجسد دوما بشخصية " الرجل المتوحش " كصفة مميزة تربط بينه وبين حيوانات الغابة . وأعتقد أن ذلك قد يعود إلى دهشة سكان أوربا في ذلك العهد إزاء المظهر الخارجي الذي يميز القردة العليا شديدة الشبه بالإنسان والتي تكتسي أجسامها بالفراء ، مما أوقع في الروع أنها قد تكون قبائل بشرية همجية أو حتى أنواع من المسوخ البشرية ، وهو نفس الاعتقاد الذي ما يزال سائدا في خيال كثير من الأميين وبسطاء الناس .

وخلال حقبة ازدهار الفروسية إبان العصور الوسطى الأوربية تجلى حضور فكرة " الرجل المتوحش " بقوة ؛ وذلك حيث انتشرت قصص وأشعار تتغنى ببطولات الفرسان المحبين وهم ينقذون السيدات اللاتي يلعبن دور الحبيبة الملهمة من براثن رجال متوحشين كانوا قد اختطفوهن من قبل . ويفسر علماء النفس هذه القصص والأشعار على أنها تعبير عن الفكرة الأوربية المسيحية في العصور الوسطى عن الحب الطاهر للفرسان ، ذلك الحب المنزه عن الأغراض والهوى والشبيه بفكرة " الحب العذري " لدى العرب ؛ فهو حب من نوع أقرب إلى التقديس والإجلال ، تلعب فيه المرأة دور الخيال البعيد الملهم مستحيل المنال ولا تكاد فكرة الجسد تجرؤ على الاقتراب من مملكة هذا الحب العفيف . كما ارتبط دوما بخوض الفارس لغمار سلسلة من المعارك البطولية والمهمات المستحيلة بغرض رفع شأن محبوبته .



شكل رقم ١٩

نقش بارز على أحد صناديق العاج الأوربية من القرن الرابع عشر ، تبدو من خلاله معركة بين أحد الفرسان وبين أحد الرجال المتوحشين للاستحواذ على المحبوبة .

ونظرا لهذا الارتباط بين الرجال المتوحشين وبين الشهوة الجنسية العارمة فإننا نجد أنه كثيرا ما كان يتم الجمع بين أشكال الرجال المتوحشين وأشكال عرائس البحر – التي تمثل الإغواء الجنسي الأنثوي – في رسوم العصور الوسطى ، وهو ما يحفظه لنا رسم على أحد الدروع الحربية الفرنسية من القرن الخامس عشر (شكل رقم ٢٠) .



شكل رقم ٢٠

رسم على أحد الدروع الحربية الفرنسية من القرن الخامس عشر يجمع بين أشكال عرائس البحر وأشكال الرجال المتوحشين كتعبير عن البعد الجنسي للكائنين .

خاتمة

ربما يكون قد ظهر لك من خلال المادة التي استعرضناها معا في هذا الكتاب كيف أن مسألة (إبداع الرعب) من أعقد المسائل التي شغلت الذهن البشري على امتداد رحلته التاريخية . وحين أقول (إبداع الرعب) فإنني على ثقة من أنك حتما سوف تكون على بينة من المعنى الذي أقصده ؛ فكما مر بنا من شوارد أسطورية متعددة المصادر نجد أن القدم السحيق لكثير من الكائنات المرعبة – سواء التي ظلت على حالها أو التي جرى تعديلها وتحويرها مع الزمن – يعبر عن ميل فطري لدى الإنسان في تجسيد أشد مخاوفه هولا وأكثرها إثارة للرعب والفزع في نفسه ، ربما عن رغبة منه في التخفيف من وطأة هول رعبها الذي يجثم على عقله ناهشا إياه نهشا ، فمن المعلوم بالتجربة أن تجسيد الإنسان لآلامه ومخاوفه – سواء بالحديث عنها أو بكتابة خواطره حولها أو حتى برسمها وتصويرها ماديا – يساهم إلى حد بعيد في تطهير أغوار الوعي الباطن مما يعتمل فيه من خيالات فتاكة وهواجس مؤلمة . فكأن أساطير الرعب كانت فيما تشمل من جوانب متعددة معقدة تشمل جانبا نفسيا وظيفيا غرضه تطهير الوجدان البشري من وساوس الرعب عن طريق إقحامه في مغامرة إبداعية تلعب فيها فنون القص والحكي والتجسيد دور محفزات الإمتاع التي تغلف الرعب المحض

بغلاف من الجمال الفني وتحاول في ذات الوقت بما توفر لها من قدرة على التبرير أن تفسر أصل القوى التي تعيث في نفس البشر رعبا عن طريق إيعازها بأدوار كونية لها تسري مسرى قوانين الطبيعة .

كما أنني أذهب إلى أبعد من ذلك حين أزعم أن هناك ما يبدو وأنه (ضرورة نفسية) تعمل على تحفيز المرء لكي يلتمس المتعة من طريق الرعب – ولن أخوض طويلا في فرضية المازوخية أو الرغبة في تعذيب الذات التي يقول بها بعض علماء النفس لتبرير استمتاع الناس وشغفهم بموضوعات الرعب – إلا أنني سأكتفي بتقرير أن هذه (الضرورة النفسية) هي المحرض الأعظم على استمرارنا في شتى أنحاء العالم وحتى اليوم في استعادة تراث الرعب من بطون الأساطير وأغوار الماضي و(إعادة تدويره) كلما تقدمت مظاهر المدنية واختلفت شروط الحضارة، لكي نلبسه من آن لآخر حلة مناسبة لروح العصر ، وكأننا نعترف أثناء قيامنا بذلك أن المبادئ الأساسية التي أرساها مبدعو الرعب الأوائل لا يمكن الاستغناء عنها وأن قصارى الجهد أن نقوم من حقبة لأخرى بتغيير الحلل وإعادة وضع المساحيق الملائمة لشروط (الموضة) لكي ترفل فيها كائنات الرعب العتيقة .

ويبدو أن أهم عاملين كانا وما زالا يقفان كدافعين أساسيين خلف رغبة الإنسان في إبداع الرعب هما : أولا الرغبة في فهم أسرار الكون الغامضة التي تكتنف أشد مخاوف الإنسان هولا ،

كالموت وما يتبعه من مصير تحلل الجسد البشري وأصل الشر ونوازعه ومصير الطغاة والأشرار بعد الموت ، فضلا عن الأسرار التي يمكن أن تفسر أصل الكوارث الطبيعية والمناخية والأوبئة المهلكة التي تعيث هلاكا في الأرض وتذهب بحيوات آلاف البشر دونما سبب واضح .

وثانيا الرغبة في فهم وتجسيد النوازع الغريزية ذات الطابع الشرير والتي يداوم الإنسان على معاناة وساوسها ومدافعة إغرائها مستعينا بزواجر الدين ومحرماته وبقواعد العرف ومقاصده . وهي الغرائز والوساوس التي تذهب بعقله هلعا حين يجد نفسه وقد استحال حيوانا ينافس شرار الحيوان ويتفوق عليهم في إبداع وتخليق الشهوات الشاذة . وربما يكون من أكبر الأدلة على ذلك أن كثيرا من الأفلام التي تتناول موضوع الرعب بشيء من المباشرة والابتذال ، خاصة الرعب المقزز المرتبط بالأشلاء ومشاهد انفجار عصارات الجسد البشري – والذي يسميه البعض (رعب الأحشاء) – مرتبطة في أذهان الكثيرين بكونها نوعا مساويا ومقارنا لأفلام الجنس الرخيص ؛ حيث يبتغي كلاهما إثارة القشعريرة وتحريك كوامن الغريزة البهيمية في صورتها المباشرة في المشاهد ، على عكس ما هو عليه الحال في الأفلام الراقية التي تتناول مفهوم الرعب من وجهة نظر احترافية تتوافر فيها مراعاة مقتضيات الفن السينمائي ، فتكون جديرة بانتزاع الاعتراف بها كقطع كلاسيكية لا تنسى .

ويظل هناك دائما جانب مشترك بين إبداع الرعب وبين بقية المجالات الإبداعية الأخرى في مختلف الفنون ؛ هو ذلك الجانب المتعلق بطموح الإنسان للفرار من سطوة الضجر والرتابة التي تمارسهما عليه مفردات الحياة اليومية بقسوة ساحقة ، خاصة في طيات حياتنا العصرية الراهنة ، تلك الحياة التي صارت ترقص بإيقاع لا يعبأ بنبض الشعور الإنساني ولا يحفل باحتياجاته النفسية إلا فيما ندر . ولنا أن نتخيل أن يظل الوجدان البشري أسيرا أبديا لهذا الإيقاع الذي يعدو خلفه لاهثا منذ مغادرة المرء لفراشه وانتهاء بارتمائه فيه منهكا من جراء اللهاث خلف سراب تأمين العيش الكريم ، غير منتبه إلى كونه غير مستطيع حتى أن يتمتع بحصاد ما تجنيه يداه من مال أصبح شغلا شاغلا لكافة أبناء حضارة العصر الرقمي .

فما أحوجهم حينها للحظات شاردة يعاودون فيها النظر من آن لآخر إلى الخلف ... بعيدا حيث الميراث الذي سبق وأن أبدعه أسلاف كان من اليسير عليهم أن يعيشوا وفق إيقاع يكفل التأمل ... ويكفل التمتع ... ويكفل الإبداع .

ما أحوجهم إلى جرعات تنعش الروح وتعاود رفع ركام المادية من فوق أعصاب ضامرة ، لتعيد تذكيرها بإنسانيتها التي تحب وتكره ... تموت وتحيا ... تفيض حبا وتنز حقدا ... وترتجف هلعا ورعبا .

ما أحوجهم إلى كل ما يثبت أنهم ما زالوا بشرا ..... حتى ولو كانت كائنات ظلامية تنبعث من أعماق سحيقة ..... هناك ... حيث تمتد جذور ، هي أصل أساطير الرعب .

د . ياسر منجي

القاهرة في ٣ فبراير ٢٠٠٧

سيكون من دواعي سروري استقبال انطباعاتكم واستفساراتكم على البريد الإلكتروني التالي : Lucifer_yass@yahoo.com

مراجع الكتاب

الكتب المقدسة :

١- العهد القديم .

٢- العهد الجديد .

المراجع العربية :

١- سليم حسن - أبو الهول - ترجمة جمال الدين سالم - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٩ .

٢- الشاهنامة - تحقيق وتعليق عبد الوهاب عزام - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة .

٣- ابن الجوزي - تلبيس إبليس - مكتبة المتنبي - القاهرة - ١٩٩٥ .

٤- الراغب الأصفهاني - مفردات ألفاظ القرآن الكريم .

٥- ابن منظور - لسان العرب المحيط .

٦- ابن إياس - بدائع الزهور في وقائع الدهور - دار العهد الجديد للطباعة - مصر .

٧- ثروت عكاشة - المعجم الموسوعي للمصطلحات الثقافية - الشركة المصرية للطباعة والنشر لونجمان .

٨- إبراهيم أسعد محمد - نظرات في تاريخ السحر - مطبعة الأمانة - مصر .

٩- النديم - الفهرست - تحقيق رضا المازندراني - دار الميسرة - ١٩٨٨ .

١٠- ياسر منجي - المعالجة الجرافيكية لفكرة الشيطان ورموز قوى الشر الغيبية - رسالة دكتوراة غير منشورة - جامعة حلوان - كلية الفنون الجميلة - ٢٠٠٦ .

١١- فرانسوا ديماس - آلهة مصر - ترجمة فيليب عطية - الهيئة المصرية العامة للكتاب .

١٢- جون هامرتن وآخرون - موسوعة تاريخ العالم - ترجمة لجنة الترجمة- الجزء الثاني

١٣- برنسلاو مالينوفسكي - السحر والعلم والدين عند القبائل البدائية - ترجمة فيليب عطية - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٥ .

١٤- إيريك هورنونج - مقالات في الفكر المصري القديم - ترجمة حسن حسين شكري - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ٢٠٠٢ .

١٥- فيليب بورجو - أساطير تدور حول الشمس - رسالة اليةنسكو - مركز مطبوعات اليونسكو- القاهرة - يناير ١٩٩٥ .

١٦– أوفيد – مسخ الكائنات – ترجمة ثروت عكاشة – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٢ .

١٧ – فراس السواح – الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة – دار علاء الدين – دمشق – ١٩٩٢ .

المراجع الأجنبية :

18- Rachel Storm – The Encyclopedia of Eastern Mythology Lorenz Books 1999 .

19- Maurice Bessy – Magic & The Supernatural – Spring Books – New York 1972 .

20- Edward William Lane – Manners &customs of the modern Egyptians – London- Everyman's Library –edition 1908 .

21- Daniel Farson &Angus Hall –Great Mysteries Mysterious Monsters – Mayflower Books – New York .

22- Udo Becker – The Continuum Encyclopedia of Symbols – Translated by Lance W. Carmer –Continuum – New York 2000 .

23- Carl Jung – Man &his symbols .

24- M. Wentris &J. Chadwick –Documents in Greek – C.U.P – London 1956 .

نبذة عن المؤلف

الاسم : ياسر إبراهيم محمد منجي .

الجنسية : مصري .

تاريخ الميلاد : ١٩٧٢ .

المؤهلات : بكالوريوس الفنون الجميلة – تخصص جرافيك – شعبة تصميم مطبوع ، من كلية الفنون الجميلة بالقاهرة عام ١٩٩٦ بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف وترتيب الأول على الدفعة

ماجستير التخصص عام ٢٠٠٣ عن رسالة بعنوان " المعالجة الفنية لفكرة الموت في أعمال الحفر والطباعة " .

دكتوراة الفلسفة في التخصص عام ٢٠٠٦ عن رسالة بعنوان " المعالجة الجرافيكية لفكرة الشيطان ورموز قوى الشر الغيبية " .

الوظيفة : مدرس بقسم الجرافيك ، كلية الفنون الجميلة ، القاهرة .

عضو اتحاد كتاب الإنترنت العرب .

عضو الفرع المصري لمنظمة الأيكا AICA لنقاد الفن التشكيلي .

عضو الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب .

المعارض :

صالون الشباب للدورات ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٣ ،

١٥ ، ١٦ في مجالات الرسم والجرافيك والتصوير والعمل المركب والنقد الفني .

صالون القطع الصغيرة ١٩٩٨ ، ٢٠٠٤ .

معرض قناة النيل الثقافية ٢٠٠١ .

تمثيل مصر في بينالي شباب البحر الأبيض المتوسط ، سراييفو ٢٠٠١ .

معرض فن الحفر ، أتيليه القاهرة ٢٠٠١ .

المعرض القومي للفنون التشكيلية ٢٠٠٣ ، ٢٠٠٥ .

ترينالي مصر الدولي لفن الجرافيك ٢٠٠٣ ، ٢٠٠٦ .

معرض الفن المصري المعاصر ، روما ٢٠٠٤ .

معرض بانوراما فن الحفر المصري في القرن العشرين ، مكتبة الإسكندرية ٢٠٠٤ .

معرض تكريم نجوم صالون الشباب ، مجمع الفنون ٢٠٠٤ .

معرض نجوم صالون الشباب المصري Primo Premio Salone Dei Giovani، روما ٢٠٠٥ .

معرض فن الجرافيك القومي ٢٠٠٥ .

معرض رؤى تشكيلية بالتعاون بين وزارة الثقافة واتحاد الصناعات ٢٠٠٥ .

ترينالي مصر الدولي الخامس لفن الجرافيك ٢٠٠٦ .

معرض الفن التشكيلي الموازي لمعرض الأهرام الحادي عشر للأثاث والديكور ٢٠٠٦ .

معرض الفن المصري المعاصر المقام بالمتحف الوطني الروماني ، رومانيا ٢٠٠٦ .

ترينالي كراكوف الدولي لفن الجرافيك ٢٠٠٦ .

اختير للعرض بمعرض أولدنبرج ٢٠٠٧ بألمانيا مع ٧٨ فنان فقط تمت تصفيتهم من واقع ٢٢٩ فنان الذين عرضوا بترينالي كراكوف الدولي .

المعرض المصاحب للأسبوع المصري الثقافي بأذربيجان ٢٠٠٦ .

معرض " مصر في عيون المصريين " بالتعاون مع الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٧ .

بينالي سان مور للطبعات الورقية ، فرنسا ٢٠٠٧ .

الجوائز :

الجائزة الكبرى في صالون الشباب العاشر ١٩٩٨ عن مجموعة من ثلاثة أعمال (جرافيك) .

جائزة الصالون في مجال التصوير في صالون الشباب الحادي عشر .

الجائزة الثالثة في مجال الرسم في صالون الشباب الثالث عشر.

الجائزة الأولى في النقد الفني في صالون الشباب الخامس عشر.

الجائزة الأولى في النقد الفني في صالون الشباب السادس عشر.

جائزة القصة القصيرة بمسابقة "عبد المنعم الصاوي" ٢٠٠٥ .

الجوائز الأولى في مجال الجرافيك بمسابقات جامعة حلوان أعوام ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ .

الجائزة الثالثة في الجرافيك بمسابقة المجلس الأعلى للشباب والرياضة ١٩٩٥ .

أهم المساهمات الفنية والثقافية :

عضو لجنة توثيق وتوصيف متحف فن الجرافيك بمجمع ١٥ مايو .

مقرر الندوة الدولية المصاحبة لترينالي مصر الدولي لفن الجرافيك ٢٠٠٦ .

عضو اللجنة العليا لترينالي مصر الدولي لفن الجرافيك ٢٠٠٦

موفد من جامعة حلوان لتمثيل كلية الفنون الجميلة في فعاليات اتفاقية التعاون الثقافي المشترك مع أكاديمية " وارسو " ببولندا خلال شهر إبريل ٢٠٠٥ .

مشرف ثقافي على قاعة ندوات " ممر ٣٥ " بقطاع الفنون التشكيلية خلال موسم ٢٠٠٦ .

عضو اللجنة المنوط بها تأسيس إدارة التنشيط الثقافي بقطاع الفنون التشكيلية عام ٢٠٠٦ .

قوميسير المعرض الفني المصاحب لأيام مصر الثقافية بأذربيجان ، نوفمبر ٢٠٠٦ .

رئيس تحرير مجلة " البينالي للفن والفنانين " الصادرة عن قطاع الفنون التشكيلية بوزارة الثقافة المصرية .

أهم الندوات والمحاضرات :

الندوة المصاحبة لصالون الشباب الثالث عشر ٢٠٠٠ .

ندوة بينالي الإسكندرية – حول عزوف الشباب عن المساهمة في الفعاليات الثقافية ٢٠٠٥ .

ندوة بالمجلس الأعلى للثقافة حول إشكاليات المصطلح الفني ، مايو ٢٠٠٦ .

ندوة بجمعية نهضة مصر المحروسة حول مفارقة الهوية المصرية في الفن التشكيلي ٢٠٠٦ .

ندوة بمركز النقد والإبداع بمتحف أحمد شوقي حول تجربة معاصرة بمركز الخزف ٢٠٠٦ .

ندوة بالمجلس الأعلى للثقافة حول فن التصوير المصري المعاصر من خلال إعادة قراء " إيميه آزار " ، نوفمبر ٢٠٠٦ .

ندوة بالمجلس الأعلى للثقافة حول مستقبل الفن التشكيلي في مصر ، مارس ٢٠٠٧ .

المؤلفات المنشورة :

كتاب بعنوان " قوى الجسد الخفية " ، دار هلا للنشر والتوزيع ، مصر ٢٠٠٥ .

كتاب بعنوان " أسرار طاقة الأفعى " ، دار هلا للنشر والتوزيع، مصر ٢٠٠٥ .

كتاب بعنوان " أسرار الفراسة وعلم الفيزيوجنومي " ، دار هلا للنشر والتوزيع ، مصر ٢٠٠٥ .

كتاب بعنوان " التجسدات البشرية للشيطان " ، دار هلا للنشر والتوزيع ، مصر ٢٠٠٦ .

مقالات بجريدة " القاهرة " الأسبوعية الصادرة عن وزارة الثقافة المصرية .

مقالات شهرية ثابتة بجريدة " بورتريه " الفنية المتخصصة .

دراستين نقديتين عن روافد الإبداع الأدبي في أعمال الروائي "باولو كويلهو" ، بعنوان "خطوط نقدية حمراء (١)" ، "خطوط نقدية حمراء (٢)" بمواقع :

http://www.midouza.org/md/modules/news/article.php?storyid=23

http://www.aslimnet.net/div/2005/mongy2.htm

http://altculture.plogspot.com

http://www.maktoobblog.com/yassermongy

دراسات نقدية تشكيلية بمواقع :

http://www.altshkeely.com/2005/qeraat2005/nawar.htm

http://altculture.plogspot.com

http://www.maktoobblogspot.com/yassermongy

موقعه على صفحة فناني مصر المعاصرين :

http://www.ecartists.com/ecartists/artists/yassermongy.html

موقعه على صفحة فناني البورتفوليو :

http://yassermongy.artistportfolio.net

موقعه على صفحة اتحاد كتاب الإنترنت العرب :

http://www.arab-ewriters.com/munji/

موقعه الخاص بمؤسسة العزيف وملتقى الفنانين والنقاد العرب :

http://art-criticism.team-forum.net/

صفحته الخاصة على موقع الفن حول العالم :

http://www.absolutearts.com/portfolios/y/yassermongy

كتب عنه في :

مجلة Nil Express الألمانية ، عدد أغسطس ١٩٩٩ .

جريدة الأهرام .

جريدة الأخبار .

مجلة صباح الخير .

مجلة Egypt Today العدد " ٧٥ " أكتوبر ١٩٩٨ .

الفهرس

الكتاب القادم

السحر الأسود ... أسرار وتاريخ

ما هو السحر ؟ وما هي أنواعه ؟

ماذا قال فيه علماء الأنثروبولوجيا وعلماء النفس وعلماء الأديان ؟ وما هي كلمة المشتغلين بفنون القوى الخفية ؟

وما حكمة تقسيم السحر إلى سحر أسود وسحر أبيض . . . وهل هناك ألوان أخرى ؟

ما معنى السحر الأسود ؟ ولماذا تمتلك هذه الجملة المكونة من كلمتين فقط تلك القدرة الرهيبة على إثارة القشعريرة في الأبدان ؟

ما هي قصة السحر الأسود عبر تاريخ البشرية ؟ ومن هم أشهر السحرة الذين احتفظت بهم ذاكرة التاريخ كعلامة على فنون السحر الأسود ؟

ما هي الأسرار التي تكتنف عالم السحر ألأسود ؟ وما هي الفوائد المزعومة التي يظن أصحابه أنهم يجنونها من وراء اقتراف شروره ؟

ما هي مدارسه وما هي الفوارق بين هذه المدارس شرقا وغربا ؟

ما هي أشهر الحوادث التي تم فيها اقتراف السحر الأسود لتغيير مسار تاريخ العالم وللسعي نحو السيطرة على ممالك ودول بأكملها ؟ وما هي أشهر الشخصيات التاريخية التي تورطت وانغمست في العالم السري لممارسي السحر الأسود ؟

..... الكتاب القادم سيغير كثيرا من ملامح الصورة النمطية التي استقرت في الأذهان عن عوالم السحر والسحرة ؛ تلك الصورة النمطية التي رسمت المعتقدات الشعبية بعض ملامحها ورسمت ألاعيب الحواة والدجالين بعضها الآخر وأضاف إليها الفن السينمائي كثيرا من الرتوش .

..... وستفاجأ بأن العالم السري للسحر الأسود قريب من عالمنا إلى درجة لا تصدق ... قريب إلى حد التداخل على نحو لا يلبث أن يطيح بهذه القشرة الواهنة من الطلاء الذي نحرص جميعا على تجميله لمواجهة بعضنا البعض .... قشرة الحياة العصرية التي لا تعترف بالخزعبلات .... نعم ... أليست حياة عصرية يسودها العلم ؟!!!

المؤلف

أسرار كائنات الظلام

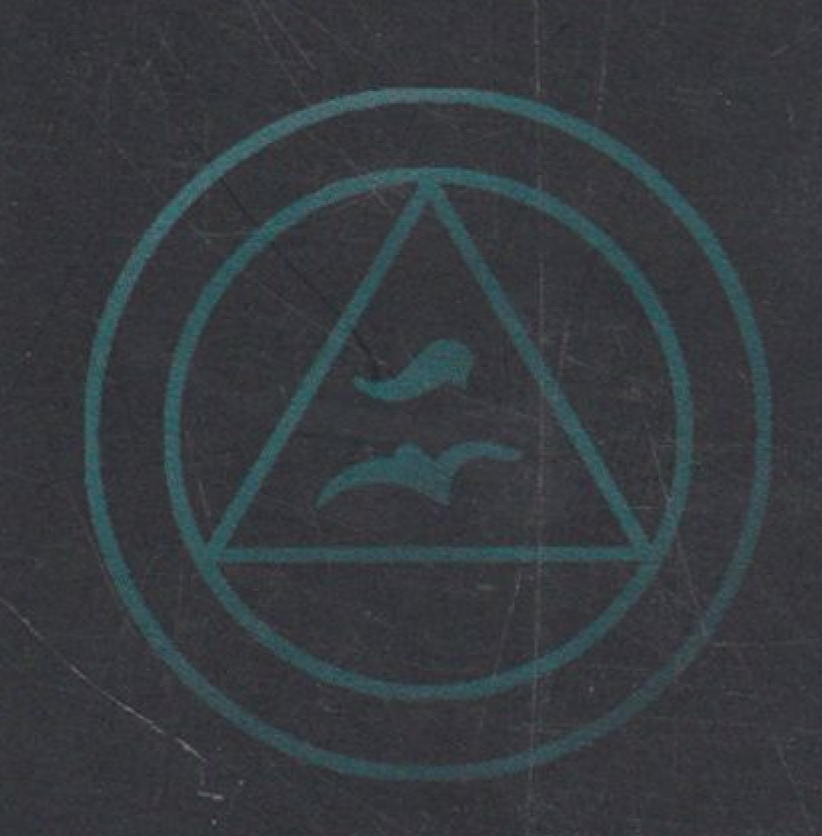
وأصل أساطير الرعب

ما معنى طبائع العناصر؟ هل هناك قوى للحروف والأشكال والأرقام؟ ماذا تعرف عن أسرار الحضارات القديمة؟ ما هى قوى اللون والصوت والضوء؟ كيف تستفيد من أسرار الأهرام؟ ما هو العلاج بالألوان وكيف تزاوله عمليا؟ كيف استفاد القدماء من أسرار الأعشاب والنباتات؟ ما هو سر تمتع البعض بالجاذبية الخارقة؟ ما معنى الحدس، وما هى أسراره؟ ماذا تعرف عن عالم الرموز وأسراره وقواه؟ هل هناك عن الأبراج غير ما يعرفه عامة الناس؟ ما هى طاقات الأحجار والمعادن؟ ما هى الهندسة المقدسة، وكيف تستفيد من قوى الفراغ المحيط بك؟ ماذا عرف القدماء عن قوى الإرادة، وكيف سخروها؟ ما هى الغرائز، وما السبيل إلى السيطرة عليها؟ ما العقل وما الروح؟ ما هى علاقة العقل بالجسد، وما علاقة الروح بالعقل؟ ما معنى «المكتوب على الجبين»؟ ما هى أسرار خوارق المتصوفة؟ ماذا تعرف عن قنوات الاتصال بين أجزاء الكون؟ هل يمكنك أن تستعمل الإيحاء الذاتى وتستفيد من التنويم المغناطيسى؟

الإجابة على هذه الأسئلة هى بعض طموح هذه السلسلة.

المؤلف





www.halapublishing.net
hala@halapublishing.net